اليهودية واليهود

بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي

تأليف

الدكتور علي عبد الواحد وافي

دكتور في الآداب من جامعة باريس
عضو "المجمع الدولي لعلم الاجتماع"
عميد كلية الآداب بجامعة أم درمان
عميد كلية التربية بجامعة الأزهر
ووكيل كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقا

دار نهضة مصر للطبع والنشر



اليهودية واليهود

بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى

تأليف

الدكتور على عبد الواحد وافى

دكتور فى الآداب من جامعة باريس
عضو "المجمع الدولى لعلم الاجتماع"
عميد كلية الآداب بجامعة أم درمان
عميد كلية التربية بجامعة الأزهر
ووكيل كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقا

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفجالة - القاهرة





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ينقسم بحثنا هذا قسمين: أحدهما لدراسة الديانة اليهودية؛ والآخر لدراسة تاريخ اليهود ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى.

ولما كانت الديانة اليهودية تعتمد على مجموعتين من الأسفار: إحداهما مجموعة أسفار العهد القديم؛ والأخرى مجموعة أسفار التلمود؛ فسندرس فى القسم الأول كلتا هاتين المجموعتين، وما تشتملان عليه من قصص وعقيدة وتشريع، وما انبثق عن تعاليمهما من طوائف دينية عند اليهود.

وأما القسم الثانى فسنفتتحه بنظرة مجملة فى تاريخ بنى إسرائيل، ونقف بقية فقراته على دراسة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية فى مختلف مراحل تاريخهم.

وسنعنى فى كل قسم من هذين القسمين ببيان موقف الإسلام من موضوعاته.

ولما كانت ديانة اليهود وكتبها المقدسة هى أهم مصادر تاريخهم، وهى أساس نظامهم الاجتماعى والاقتصادى، فسيستأثر القسم الأول من بحثنا بأكبر قسط من العناية وأكبر حيز من الكتاب؛ لأن مسائل القسم الثانى تتوقف على مسائله.

والله نسأل أن يهدينا الصراط المستقيم ويهيىء لنا من أمرنا رشدا، إنه سميع مجيب.

دكتور على عبد الواحد وافى

القسم الأول
الديانة اليهودية



الباب الأول

«العهد القديم» و «التلمود»



الفصل الأول

العهد القديم

-١-

أسفار العهد القديم

اعتمد اليهود من أسفارهم تسعة وثلاثين سفرا أطلق عليها فى العصور المسيحية اسم «العهد القديم» Ancien Testament للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» Nouveau Testament . واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفارا مقدسة أى موحى بها.

ويراد بكلمة العهد فى هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق، أى إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه alliance. فأولاهما تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى؛ والأخرى تمثل ميثاقا جديدا من عهد عيسى.

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام:

(القسم الأول) كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو «البانتاتيك» Pentateuque: du grec "Penta" cinq et "teukhos" livres

وهى: سفر التكوين؛ وسفر الخروج؛ وسفر التثنية؛ وسفر اللاويين؛ وسفر العدد.

وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة فى نظر اليهود.

أما سفر التكوين Genese فيقص تاريخ العالم، من تكوين السماوات والأرض (ومن ثم سمى سفر «التكوين») إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل (وهو اسم آخر أو لقب ليعقوب) فى أرض مصر، مع تفصيل فى قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام (أحد أبناء نوح، وهو الذى انحدر منه شعب بنى إسرائيل)، وخاصة إبراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، وإجمال فيما عدا ذلك.

وأما سفر الخروج Exode فيعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بنى إسرائيل (ومن ثم سمى سفر «الخروج») وتاريخهم فى أثناء مرحلة «التيه» التى قضوها فى صحراء سينا واستغرقت أربعين عاما، وهى التى يشير إليها القرآن الكريم إذ يقول: «قال فإنها محرمة عليهم» (أى أرض الميعاد، وهى بلاد كنعان التى وعدهم الله بها، وحرمها عليهم جزاء لهم على تقاعسهم عن قتال الكنعانيين) «أربعين سنة يتيهون فى الأرض»[1]. وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات والعقوبات... وما إلى ذلك

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة

---

(١) آية ٢٦ من سورة المائدة.

بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات.. وهلم جرا. وسمى «التثنية» لأنه يعيد ذكر التعاليم التى تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بنى إسرائيل.

(Deutéronome du grec "déuterônoniom" seconde loi)

وأما سفر «اللاويين» فقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور. واللاويون هم نسل «لاوى» أو «ليفى» Levi أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهرون. وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذى شغل معظمة بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

وأما سفر العدد Nombres فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بنى إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم (ومن ثم سمى « سفر العدد ») وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات .

(والقسم الثانى) يسمى بالأسفار التاريخية وهى اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم. وهى أسفار يوشع [٢] Josué والقضاة [٣] juges وراعوث [٤]

---

(٢) يوشع هو فتى موسى وخليفته ، وهو الذى قاد جيش بنى إسرائيل فى دخوله بلاد كنعان وإمارته على أهلها واستيلائه عليها بعد موت موسى .

(٣) لقضاة هم الذين تولوا الإشراف على بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد كنعان .

(٤) راعوث هى جدة داود من جهة أبيه .

Ruth وصموئيل[٥] (سفران) والملوك[٦] (سفران) واخبار الأيام[٧] (سفران) وعزرا[٨] Esdras ونحميا[٩] Néhémie وإستير[١٠] Esther :

---

(٥) صموئيل هو أحد أنبيائهم وآخر قضاتهم. وهو الذى عين طالوت Saul بوحى من الله ملكا على بنى إسرائيل ليتولى قيادتهم فى حروبهم ضد جالوت Goliath (ملك الفينيقيين) وجنوده. وقد كتب له النصر عليهم. وكان ذلك بفضل داود الذى قتل جالوت. وتولى داود الملك بعد طالوت، ثم تولى سليمان الملك بعد أبيه داود. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة فى آيات ٢٤٦- ٢٥١ من سورة البقرة.

(٦) الملوك هم الذين تولوا الحكم بعد القضاة، وأولهم طالوت ثم داود ثم سليمان. ولكن السفر الأول من سفرى الملوك يبدأ بتاريخ سليمان.

(٧) تعرض الإصحاحات التسعة الأولى من السفر الأول من أخبار الأيام لشجرة النسب من آدم إلى بنى إسرائيل. وما بقى من هذا السفر يعرض لتاريخ داود. وتعرض الإصحاحات التسعة الأولى من السفر الثانى لتاريخ سليمان. وما بقى من هذا السفر يعرض للتاريخ السياسى لبنى إسرائيل بعد سليمان.

(٨) يرجع إلى عزرا الفضل فى إعادة طائفة من بنى إسرائيل فى القرن الخامس ق م من منفاهم فى بابل إلى أوطانهم. وقد حرر الديانة اليهودية وأعاد إليها بعض معالمها. وجدد بناء بيت المقدس. وإليه ينسب تحرير كثير من أسفار العهد القديم التى كانت قد احترقت فى أثناء الغزو البابلى. وقد نال عزرا منزلة كبيرة فى نفوس بنى إسرائيل حتى لقد اعتقدت بعض فرقهم أنه ابن الله. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول: «وقالت اليهود عزير ابن الله» (آية ٣٠ من التوبة).

(٩) يرجع إلى نحميا الفضل فى قبول ملك الفرس مساعدة عزرا فى تجديد أبنية بيت المقدس.

(١٠) إستير سفر صغير يشتمل على تسعة إصحاحات تروى قصة إستير. وهى إسرائيلية كانت زوجة لأحد ملوك الفرس وهو إخشرشيش Assureus. وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان. وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود. فأحبطت إستير كيده، ودبرت هى مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره، ومكنت اليهود من ذبح آلاف من بنى قومه، كان منهم كثير من الأطفال والنساء. وساعدها فى ذلك يهودى آخر اسمه مردخاى. وهامان المذكور فى هذه القصة هو غير هامان وزير فرعون الذى ورد ذكره فى آية ٣٨ من سورة القصص وفى آيتى ٣٦، ٣٧ من سورة غافر. ويحتفل اليهود بذكرى نجاتهم من هذه المذبحة فى عيد يسمى عيد إستير أو عيد البوريم. ويقع فى شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة.

(والقسم الثالث) يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، **وهى** أناشيد ومواعظ معظمها دينى مؤلفة تأليفا شعريا فى أساليب بليغة، وعددها خمسة أسفار، وهى: سفر أيوب Job (ويبدو من عباراته أن أيوب صاحبه من بنى عيسو وهو أخو يعقوب التوأم وليس من بنى إسرائيل، وهو أيوب المذكور فى القرآن)، ومزامير داود Psaumes؛ وأمثال سليمان Proverbes؛ والجامعة من كلام سليمان Ecclesiastes؛ ونشيد الأناشيد لسليمان Cantique des Cantiques.

(والقسم الرابع) يسمى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا يعرض كل منها لتاريخ نبى من الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى وهارون وهى أسفار أشعياء Esaïe وأرمياء Jérémie ومراثى أرمياء Lamantations de Jérémie وحذقيال Ezechiel ودانيال Daniel وهوشع Osée ويوئيل Joël وعاموس Amos وعوبديا Abdias ويونس Jonas وميخا Michee وناحوم Nahum وحَبَقوق Habakuk وصُفُنْيا Sophonie وحَجِّى Aggée وزكريا Zacharie وهو غير زكريا أبى يحيى الذى ورد ذكره فى القرآن والأناجيل، وملاحى Malachie... وجميع هؤلاء الأنبياء إسرائيليون وأرسلوا إلى بنى إسرائيل ما عدا يونس فإنه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل إلى نينوى، وهو النبى يونس المذكور فى القرآن.

— ٢ —

التوراة أو أسفار موسى أو الأسفار الخمسة وتاريخ كل سفر منها

هذا، وأهم أسفار العهد القديم هى أسفار القسم الأول التى ينسبها اليهود إلى موسى ويعتقدون أنها بوحى من الله وأنها تتضمن التوراة.

ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (يقع عصر موسى على الارجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد)، وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألف حوالى القرن التاسع قبل الميلاد (أى بعد موسى بنحو خمسة قرون أو ستة قرون)، وأن سفر التثنية قد ألف فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أى بعد النفى البابلى (وهو إجلاء بنى إسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد)، وأنها جميعها مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم الطويل،

كما سنذكر ذلك بشىء من التفصيل فى الباب الثانى من هذا القسم عند كلامنا على ما تتضمنه هذه الأسفار من عقيدة وشريعة.

فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله على موسى. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون»[11]؛ وإذ يقول: «... والله أعلم بأعدائكم، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً؛ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»[12]، وإذ يقول: «فبما نقضهم ميثاقهم (يعنى اليهود) لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به»[13]. وقد رأى عليه الصلاة والسلام ورقة من التوراة فى يد عمر فأمره بإلقائها وألا يضيع وقته فى قراءة ما بها من كذب وتحريف، ثم قال: «ألم آتكم بها بيضاء نقية؟! والله لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعى»؛ أى إن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير؛ وقد أنزل الله على الرسول عليه الصلاة والسلام ملخصاً لما كانت تشتمل عليه التوراة الصحيحة من عقيدة وشريعة وقصص، فأحياها فى صورتها الأولى نقية بيضاء، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قرآن محمد.

---

(١١) آية ٧٩ من سورة البقرة.

(١٢) آيتى ٤٥ و٤٦ من سورة النساء.

(١٣) آية ١٣ من سورة المائدة.

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة بشأن التواريخ التى ألفت فيها هذه الكتب الخمسة ، وضعنا سفر التثنية فى ترتيبنا قبل سفرى اللاويين والعدد ، لأنه قد ألف فى عصر سابق للعصر الذى ألف فيه هذان السفران وإن كان الترتيب التقليدى للعهد القديم يضعه فى آخر الأسفار الخمسة .

-٣-

بقية أسفار العهد القديم وتاريخ كل سفر منها

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما من الأسفار الأخرى للعهد القديم قد ألف فى الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد، ويشمل هذا القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد ومعظم أسفار الأنبياء، وأن قسما آخر منها قد ألف فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد، ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال.

وهذا فيما عدا الأجزاء والفقرات التى ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية والتى سيأتى الكلام عليها وعلى تاريخ تأليفها فى الفقرة التالية.

- ٤ -

اللغات التى ألفت بها أسفار العهد القديم

دونت أسفار العهد القديم بلغة واحدة، وهى اللغة العبرية؛ وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار وتنم على العصور التى ألف فيها كل سفر منها. ولا يستثنى من ذلك إلا أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية، وهى اللغة التى صرعت العبرية وحلت محلها، وقد تم تغلبها على العبرية فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. ويدخل فى هذا القسم بعض أجزاء من سفرى عزرا Esdras ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء Jérémie وكلمتان اثنتان فى سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصد. ويرجح الباحثون أن ما ألف باللغة الآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد، وأن ما ألف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ ق م

-٥-

اللغات التى ترجمت إليها أسفار العهد القديم والزيادات التى ظهرت فى بعض هذه الترجمات

أقدم ترجمة للعهد القديم هى الترجمة اليونانيه التى اشتهرت باسم «الترجمة السبعينية» Versıon de Septante وهى التى تمت فى سنتى ٢٨٢و ٢٨٣ قبل الميلاد على يد اثنين وسبعين فقيها من يهود مصر بأمر ملك مصر حينئذ بطليموس فيلادلف، وحدد عددهم على أساس ستة فقهاء من كل سبط من أسباط اليهود الاثنى عشر.

وتشمتل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفرا لا توجد فى الأصل العبرى الذى وصل إلينا. وهذه الأسفار هى : سفر طوبيا(١) Tobie ؛ وسفر الحكمة لسليمان(٢) Sagesse de Salomon ؛ وأسفار المكابيين وعددها أربعة أسفار(٣) 4 livres des Maccabées ؛ وسفر يهوديت(٤) Judith ؛

---

(١)هو وصف لسيرة يهودى اسمه طوبيا وسيرة ابنه. وكانا أسيرين فى نينوى فى القرن السابع ق.م.

(٢)يشتمل على أمثلة حكمية وعظات بليغة لسليمان، وقد كتب لمقاومة الوثنية

(٣)المكابيون هم الذين حكموا فلسطين حكما وطنيا فى عهد الرومان فى القرن الثانى ق.م. وقد جاء اسمهم هذا من الشعار الذى كانوا يتخذونه ويكبرون به فى الحروب. وهو «مى كاموخا بِجِّيم يهوقا؟» أى من مثلك بين الأمم يا إلاهنا؟ أو ليس كمثلك شئ يارب، أوكما نقول نحن «الله أكبر». فأخذ من كل كلمة الحرف الأول منها (م ك ا ب ى) وجعل مجموع هذه الحروف «مكابى» اسما أو وصفا لكل منهم ومن ثم اشتهروا باسم «المكابيين».

(٤)يهوديت هى أرملة يهودية جميلة غنية تقية. ويتضمن هذا السفر انتصار اليهود على قائد الجيش الأشورى بمساعدتها.

وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ليسوع بن سيراخ بن سيراخ بن يسوع [٥] L Ecclésiastique' ou Sagesse de Jesus fils de Sirach وتسبيحة الفتية الثلاثة [٦] Cantique des Trois Enfants ؛ وسفر سوزان [٧] Suzane ؛ وسفر بل والتنين [٨] Bel et le Dragon ؛ وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت فى الأصل العبرى ؛ وفصول فى آخر سفر استير زائدة على الفصول المثبتة فى الأصل العبرى ؛ وبعض زيادات فى سفر دانيال.

وعن الترجمة السبعينية ترجمت اسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية La Vulgate Latine. ومع أن هذه الترجمة اللاتينية كانت ترجمة للسبعينية اليونانية، فإنها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة، فقد اشتملت على سفرين اثنين فقط للمكابين(أسفار المكابين فى السبعينية أربعة أسفار)، وحذف منها أسفار عزرا الثلاثة التى زيدت فى السبعينية على الأصل العبرى، وزادت عليها بسفر«باروخ» [٩] . وفيما عدا ذلك لا يوجد بين الترجمتين خلاف ذو بال.

---

(٥)سفر الكهنوت هو مجموعة أمثال على غرار أمثال سليمان.

(٦)هى الكلمات التى يقال إنه قد سبح بها أصدقاء دانيال الثلاثة وهم فى أتون النار.

(٧)سفر سوزان أو قصة سوسنة العفيفة، يشتمل على تمجيد النبى دانيال لقاض دحض وشاية ضد سوسنة العفيفة.

(٨)سفر «بل والتنين» عبارة عن قصة ألحقت بسفر دانيال، وتبين كيف اقتنع الملك كورش ببطلان عبادة الأصنام.

(٩)باروخ (Baruch (ruk هو تلميذ أرمياء Jéremie. وقد أملى عليه أرمياء تنبئواته ويمكن أن يعد سفره هذا من أسفار الأنبياء ويلحق بسفر أرمياء ومراثى أرمياء. ويرجع تاريخ باروخ إلى القرن السادس قبل الميلاد. ويتضمن سفر باروخ صلوات وأدعية دينية لليهود.

وفضلا عن الأسفار والأجزاء التى تزيد بها الترجمتان اليونانية واللاتينية عن الأصل العبرى، فإنهما فى بعض المواضع لا تنطبقان على هذا الأصل تمام الانطباق. ولم يعرف إلى الآن على وجه اليقين الأسباب التى أدت إلى هذه الزيادات وهذا الاختلاف.

وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار والأجزاء التى تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبرى واعتبرتها كلها أسفاراً وأجزاء مقدسة واعتبرتها من أسفار العهد القديم وأجزائه. ولكن معظم البروتستانت من المسيحيين لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة ولا يعتبرونها من العهد القديم. وأما اليهود أنفسهم فإنهم يدخلون فى القسم الذى يسمونه «الأسفار الخفية» Apocryphe، والذى سيأتى الكلام عليه فى الفقرة التالية، جميع ما تزيد به الترجمتان عن الأصل العبرى من أسفار وأجزاء. و« الأسفار الخفية» عندهم لا يدخل شىء منها فى العهد القديم، ولكن بعضها يمكن أن يكون مقدسا فى نظرهم[1].

وفضلا عن الترجمتين اليونانية واللاتينية فإن العهد القديم قد ترجم إلى لغات أخرى كثيرة.

---

(١٠)من فرق اليهود المنقرضة فرقة كانت تسمى فرقة السامرية . وهذه الفرقة كانت لا تؤمن الا بسبعة أسفار من العهد القديم، وهى أسفار موسى الخمسة وسفر يوشع وسفر القضاة، **وتنكر ما** عدا ذلك، كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل فى الباب الثالث من هذا القسم عند الكلام **على فرق** اليهود.

فقد ترجمه أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس من العبرية إلى «للهجة الآرامية الحديثة» وهى إحدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة فى منطقة فلسطين وما إليها. وساروا فى ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة. فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبرى ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية. وقد أطلق على كتبهم هذه اسم« الترجوم». ومن أشهرها ترجوم أنقلوسOnclos وهو ترجمة لأسفار التوراة وحدها (الأسفار الخمسة أو أسفار موسى التى يتألف منها القسم الأول من العهد القديم وتتضمن التوراة فى نظرهم)، وترجوم يوناثان وهو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم. وقد ألفت ترجماتهم هذه فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثانى وأواخر الخامس بعد الميلاد، وتم معظمها فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

وفى هذه الفترة نفسها(بين أوائل الثانى وأواخر الخامس بعد الميلاد) ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهدين القديم والجديد إلى اللغة السريانية، وهى إحدى شعب اللغة الآرامية، ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس وأنما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية. والترجمة السريانية لا تكاد تبين عن روح اللغة العبرية التى ألفت بها هذه الأسفار.

وترجم المسيحيون بفلسطين العهدين القديم والجديد إلى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة، وهى إحدى اللهجات الآرامية التى كانت مستخدمة فى فلسطين وما إليها، وذلك بعد أن استقلوا فى ثقافتهم وشئونهم الدينية عن الكنيسة السريانية. وقد تم لهم هذا الاستقلال فى أواخر القرن الخامس

الميلادى. ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل مواطنوهم اليهود من مدرسة بيت المقدس، وإنما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية كما فعل السريان. وجاءت ترجمتهم هذه حرفية كالترجمة السريانية، بل تزيد فى حرفيتها عن الترجمة السريانية، وتقل عنها فى مبلغ إبانتها عن روح اللغة العبرية وأساليبها. وقد استغرقت ترجمتهم للعهدين القديم والجديد مدة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادى عشر بعد الميلاد.

وعن الترجمتين اليونانية واللاتنية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها[١١].

---

(١١) من أحدث هذه الترجمات ترجمة من العبرية القديمة إلى الإنجليزية الحديثة قام بها جماعة من العلماء أغلبهم من اليهود المنتمين إلى هيئات دينية متمركزة فى انجلترا. وشارك فى طبع هذه الترجمة مطابع أكبر جامعتين فى انجلترا هما أكسفورد وكمبردج . وقد طبع منها ملايين النسخ وجرى توزيعها فى معظم بلاد العالم. واشتملت على العهدين القديم والجديد بالإضافة إلى اشتمالها على الأسفار الخفية التى سنتحدث عنها فى الفقرة التالية.

وتمتاز هذه الترجمة بالتحرر من قيود الترجمات السابقة التقليدية وبتصرفها فى معنى بعض العبارات ومغزاها، وبما تضيفه إلى بعض النصوص لتوضيحها. (انظر فى هذه الترجمة مقالا للاستاذ شوقى عبد الحكيم فى عدد ٥ سبتمبر من جريدة «أخبار اليوم»).

-٦-

الأسفار الخفية عند اليهود وصلتها بأسفار العهد القديم

وبجانب الأسفار التى يتألف منها العهد القديم فى نظر اليهود، توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود فى أسفار هذا العهد. ويطلقون عليها اسم «الأسفار الخفية Apocryphe du grec "apokruphos" de "apokruptien" cacher

ومن الأسفار الخفية عند اليهود الأسفار التى تزيد بها الترجمة السبعنية عن الأصل العبرى والتى تقدمت الإشارة إليها فى الفقرة السابقة.

وبعض الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد فى نظر اليهود، بينما بعضها الآخر مقدس أى معترف بأنه موحى به ومعتمد فى نظرهم، ولكن رأى أحبارهم وجوب إخفائه، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج فى أسفار العهد القديم. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول فى صدد اليهود: «وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا[١٢]»، وإذ يقول: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب»[١٣]؛ وإذ

---

(١٢)آية ٩١ من سورة الأنعام.

(١٣)آية ١٥ من سورة المائدة.

يقول: «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»، [١٤] وإذ يقول « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم» [١٥].

ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفياً ومقدسا فى آن واحد عند اليهود. وفى هذا يختلف الاصطلاح اليهودى بعض الاختلاف فى مدلول كلمة« الخفى» apocryphe على الاصطلاح المسيحى. فالمسيحيون يطلقون كلمة« الخفى» على سفر يرون انه غير مقدس أى غير موحى به، سواء أكان فى نظرهم صحيحا فى حقائقه وفى نسبته إلى مؤلفه، أم كان فى نظرهم غير صحيح فى حقائقه أو فى نسبته إلى مؤلفه أو فى كلتيهما، كإنجيل برنابا وكتاب« أعمال الرسل» لبرنابا؛ فإن المسيحين لا يعترفون بصحة ما جاء فيهما ولا بصحة نسبتهما إلى برنابا.

---

(١٤)آية ١٥٩ من سورة البقرة.

(١٥)آية ١٧٤ من سورة البقرة.

الفصل الثانى

التلمود

– ١ –

أسفار التلمود وتاريخ تأليفها

تألف من بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفريسيين (أشهر فرق اليهود كما سيأتى الكلام على ذلك فى الباب الثالث من هذا القسم)، فى شئون العقيدة والشريعة والتاريخ المقدس وما إلى ذلك ثلاثة وستون سفرا ألفت فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد وأطلق عليها اسم «المشناه» بمعنى المثنى أو المكرر أى أنها تكرار وتسجيل للشريعة

Michna répétition des lois, ou seconde loi

ثم شرحت هذه «المشناه» فيما بعد، وأطلق على هذه الشروح اسم «الجمارا» أى الشرح أو التعليق Gémara commentaires. وألفت هذه الشروح فى فترة طويلة امتدت من القرن الثانى إلى أواخر السادس بعد

الميلاد. وتألف من المتن والشرح (أى من المشناه والجمارا) ما أطلق عليه اسم «التلمود» بمعنى التعاليم Talmud enseignement. هذا ولا تقل أهمية التلمود لدى معظمهم عن أهمية العهد القديم نفسه، بل إن أهميته لتزيد لدى بعض فرقهم عن أهمية العهد القديم.

- ٢ -

اللغات التى ألفت بها أسفار التلمود والتى ترجمت إليها

ألفت أسفار «المشناه» باللغة العبرية وألفت شروحها المسماة «الجمارا» باللغة الآرامية. فكان يدون المتن بلغته العبرية، ثم يشرح بالآرامية.

وتسمى اللغة العبرية التى ألفت بها أسفار «المشناه» باللغة «الربانية» لأن فقهاء اليهود الذين يطلق عليهم اسم « الربانيين» هم الذين استخدموها فى تأليف هذه الأسفار. وهى تختلف اختلافا غير يسير عن اللغة العبرية التى ألفت بها أسفار العهد القديم.

وذلك أن تأليف أسفار المشناه قد حدث بعد أن انقرضت العبرية من لغة التخاطب لدى بنى إسرائيل وحلت محلها فى ألسنتهم اللغة الآرامية واقتصر استخدام العبرية لديهم على ميادين الكتابة، وخاصة فى شئون الدين. ومن ثم تمتاز اللغة التى ألفت بها المشناه بشدة تأثرها باللغة الآراميه، كما يبدو فيها كثير من مظاهر التأثر ببعض اللغات الآرية الهندية — الأوروبية التى احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية.

ولكن هذا لا ينقص شيئاً من قيمتها اللغوية والتاريخية. وذلك لأن ما بها من مفردات أجنبية لا يعد شيئا مذكورا بجانب ما استخدمته من المفردات العبرية التى لا يوجد بعضها فى العهد القديم نفسه.

وأما شروح المشناه المسماه «الجمارا»، وهى التى ألفت باللغة الآرامية، فقد قامت بها مدرستان:

(إحداهما) مدرسة يهود فلسطين، وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية- الفلسطينية الحديثة، وهى اللهجة نفسها التى استخدمها هؤلاء فى ترجمة العهد القديم، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. واستغرق لديهم تأليف هذه الشروح فترة طويلة تمتد من القرن الثانى إلى أواخر الخامس بعد الميلاد، وإن كان معظمها قد تم فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه (أى مع أسفار المشناه) ما يعرف «بتلمود بيت المقدس».

(والأخرى) مدرسة يهود بابل. وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية (وهى إحدى لهجات اللغة الآرامية). وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها إلا فى القرن السادس الميلادى. وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه ما يعرف «بتلمود بابل»:

وعن اللغتين العبرية والآرامية ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم قديمها وحديثها.



الباب الثانى

العقيدة والشريعة والقصص
فى أسفار اليهود



الفصل الأول

العقيدة فى أسفار اليهود

– ١ –

الذات العلية وصفاتها فى نظر اليهود وفى أسفارهم

كانت الديانة اليهودية فى أصلها، كما ينبئنا بذلك القرآن الكريم، ديانة وحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال، والمخالفة للحوادث فى كل شئ، والتجرد من مظاهر النقص، كما هو الشأن فى الدين الإسلامى.

ولكن يظهر من استقراء تاريخ اليهود، وما ورد بشأنهم فى القرآن الكريم، وما ورد فى أسفارهم نفسها، أن فهمهم للذات العلية لم يكن فى أى عصر من عصورهم مطابقا كل المطابقة لهذا الوضع، وأن فكرة الألوهية لديهم قد اجتازت المراحل الثلاث الآتية:

١– فالقرآن الكريم يحدثنا أن بنى إسرائيل لم تقو عقولهم فى مبدأ الأمر على فهم الذات العلية الفهم الصحيح، وظنوا أنه من الممكن رؤيتها، بل علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى وفى هذا يقول القرآن

الكريم: «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»[1].

وينبئنا كذلك القرآن الكريم أنهم لم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إلاه لا يستطيعون رؤيته، وطلبوا إلى موسى، حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم، أن يجعل لهم إلاها يحسونه كما يحس هؤلاء آلهتهم، وفى هذا يقول القرآن الكريم: «وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم. قالوا يا موسى اجعل لنا إلاها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغيكم إلاها، وهو فضلكم على العالمين»[2].

وينبئنا كذلك القرآن الكريم، وتنبئنا أسفارهم نفسها، أنهم فى أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة إلاههم أكثر من مرة، فعبدوا العجل تارة والأصنام تارة أخرى. ومن الغريب أن سفر الخروج (وهو من أقدم أسفار توراتهم المزعومة) قد نسب إلى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام، فصنع لهم بيده عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله[3] كما سيأتى بيانه بتفصيل فى الفصل الثالث من هذا الباب.

ويظهر من التأمل فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة: وهما سفر التكوين وسفر الخروج، أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة فى عقولهم

(١) آيتى ٥٥، ٥٦ من سورة البقرة.

(٢) أيات ١٣٨- ١٤٠ من سورة الأعراف.

(٣) اصحاح ٣٢ من سفر الخروج.

إلى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين ، أى إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد (بعد موسى بنحو خمسة قرون) . فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل . وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين .

فمن ذلك ما يرويه سفر التكوين فى قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة ، إذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضللا بهما ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لها أن الأكل منها يفضى إلى الموت ، مع أن الأكل منها يفضى إلى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة ولكن الاله كان يريد إبقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه فى صفة من أخص صفاته . ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كانا يجهلانه من قبل فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة . ولما قدم الإله نحوهما مخترقا طرق الجنة ، وسمعا صوته وحركته فى أثناء سيره ، اختبا حتى لا يراهما عريانين ، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة . فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما ، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الإنسان قد أصبح بذلك « أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح » ، وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتديده إلى شجرة أخرى هى « شجرة الخلد » فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء[٤] .

وقد عرض القرآن الكريم فى أكثر من سورة لعدة مواقف من قصة آدم وحواء

---

(٤) الاصحاح الثالث من سفر التكوين .

وأكلها من الشجرة وخروجها من الجنة ، بدون أن يبدو فى أى موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

ومن ذلك أيضاً ما يذكره سفر التكوين من أن لله تعالى أولادا من الذكور ، وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائى كان عددهن قد كثر فى الأرض ، فاتخذوهن خليلات ، وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة فى الجسم ، وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان[٥] .

ومن ذلك أيضاً ما يرويه سفر التكوين فى قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتى « سدوم » و « عمورة » إذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم ، وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم ، وإبراهيم جالس على مقربة منهم . ثم تفقد الإلاه زوجه سارة ، وسأله عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما فى هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا ثم اشتبك معه إبراهيم فى نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لأن بعض أهلها أتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسىء[٦] .

وقد ذكر القرآن هذه القصة على حقيقتها ، فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين فى صورة آدميين ، فظنهم بشرا ، فقدم إليهم طعاما ، فلم تصل أيديهم إليه ، لأن الملائكة لا يأكلون . وفى هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد جاءت

---

(٥) الاصحاح السادس من سفر التكوين فقرات ١—٥.
(٦) الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين.

رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . . [7] » .

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر التكوين من أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع ، وكان يوم سبت ، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك ، فحرم فيه العمل[8] ؛ أى أنه كالبشر ، فى حاجة إلى الراحة بعد بذل المجهود فى عمل ما .

وعلى زعمهم هذا يرد الله تعالى فى القرآن الكريم إذ يقول : « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب[9] » ، أى لم يمسنا تعب حتى تحتاج إلى الراحة .

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين عن يعقوب وأنه لقى الله ذات ليلة وأخذ يصارعه حتى برغ الفجر ، بدون أن يستطيع الله سبيلا إلى التغلب على يعقوب . وحينئذ ضرب حُقَّ يعقوب فانخلع . ولما بلغ الوهن من الله مبلغه طلب إلى يعقوب أن يخلى سبيله لأنه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ، ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلقه إلا إذا باركه . فقبل الله تعالى شرطه وباركه ، وسأله عن اسمه ، فقال يعقوب ، فقال الله لن تسمى بعد الآن يعقوب ، بل تسمى « إسرائيل » ذلك كنت قويا على الله[10] (زهذا هو أحد معانى كلمة إسرائيل فى العبرية) .

---

(٧) آيات ٦٩- ٧٦ من سورة هود.

(٨) الفقرات الأولى من الاصحاح الثانى من سفر التكوين.

(٩) آية ٣٨ من سورة ق.

(١٠) فقرات ٢٤- ٣٢ من اصحاح ٣٢ من سفر التكوين.

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر الخروج من أن الإههم يفيد من الضحايا التى تقدم إليه وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها[(١١)] بل إن بعض فقرات من هذا السفر لتدل على أن إلاههم كان يطلب إليهم أن يقدموا أولادهم ضحايا محرقة لإرضائه والتقرب إليه . فقد ورد فى هذا السفر أن فرعون لم يسمح لبنى إسرائيل بالخروج من مصر . فأنزل الله نقمته على المصريين . فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من الحيوان فى سائر بلاد مصر ، ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بنى إسرائيل ، وأذنوا لهم بالخروج من مصر . وكان هذا الخروج أكبر حدث فى تاريخهم ، وإليه يرجع الفضل فى تحررهم من الاستعباد وفيما أصابوه من عز وسلطان فيما بعد . ولكى يظل بنو إسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم فى هذا الحدث ، فرض عليهم أن يخصصوا للرب أول ما تلده كل أنثى من الإنسان والحيوان ، أى أن يقدموه ضحية له . ولكن خفف عنهم فيما يتعلق بأول مولود من الآدميين ، فشرع لهم فداءه بذبح من الضأن . وشرع لهم كذلك هذا الفداء فيما يتعلق بالحيوانات غير مأكولة اللحم[(١٢)] .

ويستدل من أقدم أسفارهم كذلك على أنهم كانوا يعتقدون تعدد الآلهة . فكانوا يرون أن ثم إلاها خاصا بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى .

٢ – ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئاً فشيئاً ، ويتخلص نوعا ما من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك فى أحدث أسفار توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

---

(١١) انظر مثلا فقرات ٣٨ ٤٣ من الاصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج ، وخاصة فقرة ٤١ .

(١٢) فقرات ٢ ، ١١ ١٥ من اصحاح ١٣ من سفر الخروج.

غير أنه قد بقى لديهم الاعتقاد بأن لهم إلاها خاصا بهم ، وهو إلاه إسرائيل ، وأنهم هم أولاده وأحباؤه ، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى ، وأن إلاههم فى صراع مع هذه الآلهة . ولم يتخلص إلاههم هذا كل التخلص من صفات الحوادث ، بل ظل عالقا به فى نظرهم بعض هذه الصفات . فمن ذلك أن أحدث أسفار توارتهم المزعومة ، وهو سفر اللاويين يذكر فى أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت إشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الإله ويفيد منها ، وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها . وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين أو غير المراعين لمواسم التقديم فيرسل عليهم ناراً تحرقهم ، كما فعل مع ولدين من أبناء هرون لم يحسنا تقديم الأضحية (١٣) . ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هى الطريق المقررة لديهم فى معظم أنواع الأضحية والقرابين ، حتى فى قرابين البنات وما يصنع منه كالفطائر وما إليها (١٤) .

ويرد الله تعالى فى القرآن الكريم على مزاعمهم هذه ، فيقرر أن الله لا يناله شىء من لحوم الأضاحى ولا من دمائها ، وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهراً من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه التى أسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين . وفى

---

(١٣) انظر اصحاحات سفر اللاويين، وقد ورد حادث ابنى هرون فى الاصحاح العاشر من هذا السفر.

(١٤) انظر سفر اللاويين، وبخاصة الاصحاحات الأول والثانى والسادس والسابع والعاشر. وقد خصصت معظم اصحاحات هذا السفر لبيان وظائف اللاويين، وهم كهنة بنى اسرائيل وفقهاؤهم. وكانوا يتألفون من نسل لاوى أو ليفى أحد أبناء يعقوب، وقد تخصص منهم بذلك نسل هارون عليه السلام، وكان أهم وظائفهم الاشراف على المذابح وتقديم الضحايا والقرابين.

هذا يقول الله تعالى : « لن ينال اللهَ لحومُها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين »[١٥] . ويقول فيما يقدم فى الحج من الهدى ، : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »[١٦] .

٣ – ويظهر أنه بعد أن قربت عقيدتهم من التوحيد وتنزيه الإله من النقص ، ارتكست مرة أخرى ارتكاسا كبيراً فى العهد الذى ألف فيه التلمود (القرون الستة الأولى بعد الميلاد) .

فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص ، ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضائه ، وما يرويه عن نشاطة وأعماله فى الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل ، وما يقرره بصدد تخصيص أيام من كل عام لعبادة إله آخر صغير ، وبصدد حرص الإله على أن تقدم له أضحية من الآدميين .

فقد ذكر العلامة ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء النحل » أن سفراً من أسفار التلمود يسمى « سفر توما » قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال إنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع ، وأنه قد جاء فى سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له « سادرنا شيم » أن فى رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفى إصبعه خاتم تضىء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه « صندلفون »[١٧] .

---

(١٥) آية ٣٧ من سورة الحج.

(١٦) آية ٢٨ من سورة الحج.

(١٧)ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، صفحتى ١٦٣، ١٦٤ من الجزء الأول.

وورد فى بعض أسفار التلمود أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار فى مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية فى شئون الحكم بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة فى تدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جداً يتسع حلقه لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ بدون أن تضايقه . وقد رأى الله أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملآ الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل . ولهذا حبس الذكر بقوته الإلاهية وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين فى الفردوس . وأما ساعات الليل فيقضيها الإلاه فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذى يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية . وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل . فقد اعترف الإلاه بخطئه فى هذا الصدد وندم على ما فعله ، وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم ، وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من فى الآفاق ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض ، فتنجم عن ذلك الزلازل.ويزعم التلمود أن الله يردد فى أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل فيقول : تباً لى أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل وتشريد أولادى.ويقول حينما يسمع الناس يمجدونه : طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضى عليهم بالتشريد والشقاء . وذكر العلامة ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أنه قد جاء فى بعض أسفار التلمود » أن رجلا اسمه اسماعيل كان أثر خراب بيت المقدس سمع الله تعالى يئن أنين الحمامة ويبكى وهو يقول : الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه ، وهدم قصره وموضع سكينته ، ويلى على ما أخربت من بيتى . ويلى على ما فرقت من بنى وبناتى . قامتى منكسة حتى أبنى بيتى وأرد إلى بنىَّ وبناتى . فلما شعر الله بوجود إسماعيل بجواره

أخذ بثيابه وقال له : أسمعتنى يا إبنى يا إسماعيل ؟ قال لا يارب . فقال له الرب : يا ابنى يا اسماعيل بارك علىّ . فبارك عليه ومضى »[١٨] .

ويقرر التلمود كذلك أن الله قد تستولى عليه نزوة غضب ، فيقسم ليأتين أعمالا شريرة أو غير عادلة ، ثم يثوب إلى رشده فيتحلل من يمينه ، كما حدث يوم أن غضب على بنى إسرائيل فى الصحراء وأقسم أن يبيدهم ثم رجع عن عزمه وتحلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه .

ويستدل من أسفار تلمودهم كذلك أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيها ربًّا آخر غير إلاههم ، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير ،. وهذا الرب الصغير هو صندلفون الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم[١٩] .

وفى هذه المرحلة اعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله ، واتخذت بعض فرقهم أحبارهم أربابا من دون الله ، كما يخبر بذلك القرآن الكريم عنهم وعن النصارى ، إذ يقول : « وقالت اليهود عزير ابن الله» (وهو عزرا Esdras[٢٠]) « وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم »(أى واتخذ

---

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٤ ، من الجزء الأول . عبارة ابن حزم : « قال هذا الكلب والجيفة المنقنة ، فباركت عليه ومضيت» .

(١٩) المرجع السابق ص ١٦٥ من الجزء الأول .

(٢٠) يذكر ابن حزم فى المرجع السابق أن الصدوقية « وهم ينسبون إلى رجل يقال له صدوق قد انفردوا من بين فرق اليهود باعتقادهم أن العزيز ابن الله ، تعالى الله عن ذلك ، وكانوا بجهة اليمن » .

النصارى المسيح بن مريم إلاها كذلك)« وما أمروا إلا ليعبدوا إلاها واحدا، لا إلاه إلا هو، سبحانه عما يشركون»[٢١].

وفى هذه المرحلة كذلك زادت عقائدهم انحرافا ووحشية فيما يتعلق بشئون الأضحية والقرابين. فأسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى إسرائيل وتقديمهم قربانا لإلاههم، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح وعيد استير ومراسم ختان الأطفال، واستخدام هذه الدماء فى طقوس سحرهم وشعوذتهم . وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودى إلى ربه وما تقر به عين إلاههم.

أما عيد الفِصح(فصح أى الفسح أو الخروج أو المرور) فيقيمه اليهود فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم الدينية وهو شهر نيسان (ويقع ذلك فى شهر أبريل) ويحتفلون فيه بنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون وقومه وخروجهم من مصر[٢٢].

وأما عيد إستير أو البوريم فيقع فى شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة. ويحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم من مذبحة تذكر أسفار العهد القديم أنها كانت تتهددهم وأنهم قد نجوا منها بفضل امرأة إسرائيلية تسمى إستير. فتروى هذه الأسفار أن إستير كانت زوجة لأحد ملوك الفرس. وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان. وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من

---

(٢١) آيتى ٣٠ ، ٣١ من سورة التوبة .

(٢٢) انظر فقرات ٥ – ٩ من إصحاح ٢٣ من سفر اللاويين.

الملك بقتل اليهود. فأحبطت إستير كيده ودبرت مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره ومكنت اليهود من ذبح عشرات الألوف من بنى قومه كان منهم كثير من الأطفال والنساء. وقد خصص لهذه القصة سفر من أسفار العهد القديم سمى باسم هذه المرأة [٢٣] .

وأما مراسم ختان الأطفال فهى مراسم معقدة يقيمها اليهود بمناسبة ختان أبنائهم ، والختان من أهم شعائر دينهم ، بل إنهم ليعتبرونه أكبر مميز بين اليهودى وغير اليهودى [٢٤] .

وأما طقوس السحر والشعوذة لدى اليهود ، فقد أفرد لها التلمود أبو ابا كثيرة ، بل لقد اعترفت أسفار العهد القديم نفسها بمزاولة اليهود لها [٢٥] .

وتختار الذبائح فى عيد الفصح من الأطفال الذين لا تتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد عنها قليلا. ويمزج دم الضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفة أو بعد تجفيفه. وتختار ذبائح عيد البوريم أو إستير من الشباب البالغين أو من الكبار. ويؤخذ دم الضحية ويجفف على صورة حبوب تمزج بعجين الفطائر. وأما ضحايا أفراح الختان فيظهر أنها كانت تختار فى الغالب من الأطفال. وكذلك ضحايا السحر والشعوذة ، بدليل ماورد فى صددها فى سفر أشعياء إذ يقول فى إصحاحه السابع والخمسين مخاطبا بنى إسرائيل : « أقبلوا يا بنى الساحرة... ألستم أنتم الذين يذبحون الأطفال فى الوديان وتحت شقوق الصخور؟» أى لإتمام عمليات السحر التى ورثتموها عن آبائكم وأمهاتكم » .

(٢٣) انظر الفصل الأول من الباب الثالث (ص ١٢) .

(٢٤) انظر مثلا الإصحاح الخامس من سفر التثنية ..

(٢٥) انظر مثلا إصحاح ٥٧ من سفر أشعياء .

ويستنزف اليهود دم ضحاياهم هذه بطرائق كثيرة: فأحيانا يتم ذلك عن طريق ما يسمى« البرميل الإبرى» وهو برميل مثبت على جوانبه من الداخل إبر حادة توضع فيه الضحية حية فتنغرز هذه الإبر فى جسمها، وتسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها، وتظل كذلك فى عذاب اليم حتى تفيض روحها، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل فى أكبر نشوة بما يبعثه هذا المنظر فى نفوسهم من لذة وسرور. وينحدر الدم إلى قاع البرميل، ثم يصب فى إناء معد لجمعه. وأحيانا تقطع شرايين الضحية فى عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها. وأحيانا تذبح الضحية كما تذبح الشاة ويؤخذ دمها.

وبعد أن يتجمع الدم بطريقة من الطرق السابقة أو غيرها تسلم إلى الحاخام أو الكاهن أو الساحر الذى يقوم باستخدامها فى إعداد الفطائر المقدسة أو فى عمليات السحر.

وتدل شواهد كثيرة على أنهم لم ينفكوا منذ عهد بعيد، ولا ينفكون فى الوقت الحاضر، يزاولون هذه الجرائم فى كثير من بلاد العالم باسم دينهم ووصايا تلمودهم.

وقد عنى الأستاذ أرلوند ليز بجمع أهم ما ثبت اقتراف اليهود له من هذه الجرائم فى مختلف بلاد أوربا وآسيا منذ منتصف القرن الثانى عشر إلى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، ودونها فى كتاب نشره سنة ١٩٣٨ تحت عنوان« طقوس الإغتيال اليهودية» Arnold Leese: Jewish Ritual Murder فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجريمة فى كثير منها بأدلة قاطعة

وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء، وحكم فى بعضها على المجرمين بالإعدام ونفذ فيهم الحكم.

وقد نقل صديقنا المرحوم الأستاذ عبد الله التل فى كتابه القيم «خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية» عن الأستاذ ليز هذه الحوادث بتفاصيلها وعلق عليها بأن هذه الجرائم التى عرفت فى التاريخ ووصلت إلى المحاكم وجرى فيها تحقيق ليست شيئا مذكوراً إذا قيست بالجرائم التى ارتكبها اليهود من هذا القبيل ولم يصل علمها إلى أحد ولم تصل إلى المحاكم « وأن آلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون فى معظم أنحاء العالم هم فى الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية، ولا بد أن تكون دماؤهم قد استقرت فى بطون اليهود مع الفطائر القذرة التى يتناولونها فى أعيادهم».

ومن أشنع هذه الحوادث حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ التى راح ضحيتها الأب توما وخادمه إبراهيم عمار. وقد قص قصتها صديقنا المرحوم الأستاذ عبد الله التل فى كتابه السابق ذكره إذ يقول: «الأب فرنسوا أنطون توما قسيس إيطالى انتقل إلى دمشق للخدمة فى أديرتها. وعمل طوال ثلاثة وثلاثين سنة بإخلاص وغيرة وحنان خادما لجميع الطوائف، لا يفرق بين دين ودين، يعالج المرضى مجانا، ويطعِّم الناس ضد الأوبئة. وعرف فى دمشق مثالا للنبل والخلق الكريم. وفى يوم الأربعاء ٢ من ذى الحجة ١٢٥٥هـ الموافق ٥ من فبراير ١٨٤٠م طلب الأب توما لحارة اليهود لتطعيم طفل ضد الجدرى. وفى عودته مر بصديقة اليهودى داود هرارى. فاستدعاه إلى داره فلبى الدعوة. وكان فى الدار شقيقان لداود هرارى وعمه واثنان من حاخامات اليهود. ثم انقض هؤلاء جميعا على الأب توما

وقيدوه من قدميه ويديه ووضعوا منديلا على فمه، وبعد غروب الشمس استدعوا حلاقا يهوديا اسمه سليمان وأمروه بذبح القسيس فخاف وتردد. فما كان من داود هرارى صديق الأب توما إلا أن تناول السكين بنفسه ونحر الضحية ثم جاء أخوه هارون هرارى وأتم عملية الذبح. وجمعوا الدم فى وعاء ثم نقلوه إلى قارورة كبيرة وسلموه إلى حاخام باشا يعقوب العنتابى الذى تمت العملية بناء على أوامره، نظراً لحاجته إلى الدم لاستعماله فى فطائر عيد البوريم(إستير) الذى كان يقع فى ذلك العام فى الرابع عشر من فبراير. وقطعوا جثة الضحية إربا إربا، ووضعوها فى أكياس قذفوا بها فى مصرف قريب من دارهم. ولم يكتفوا بالقسيس، بل انتظروا مجيء خادمه إبراهيم عمار للبحث عنه، ، فأدخلوه إلى منزل اليهودى يحيى ماهر فارحى وذبحوه وأخذوا دمه إلى الحاخام باشا».

« وفى أثناء التحقيق قدم جميع المتهمين فى تلك المذبحة اعترافات كاملة مذهلة. وعثرت السلطات على جثتى القسيس وخادمه».

« وقد نشرت التحقيقات والمحاكمة فى عدة كتب أوروبية. ومازالت محفوظة فى سجلات وزارة العدل بدمشق. ونشرت بالتفصيل فى كتاب للدكتور روهلنج (ترجمه إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله سنة ١٨٩٩ ميلادية تحت عنوان: « الكنز المرصود فى قواعد التلمود ») .

بل لقد شهد شاهد من أهلهم، ومؤرخ من أقدم مؤرخيهم وأشهرهم، وهو المؤرخ اليهودى يوسيفوس(فلافيوس يوسيفوس المولود سنة ٣٧ ميلادية والمتوفى سنة ٩٥) بأنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم، بل كانوا يأكلون كذلك قطعاً من لحومهم.

فقد ذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان أنطونيوس الرابع الذى تبوأ العرش سنة ١٧٤ قبل الميلاد وفتح مدينة أورشليم ، حينما دخل هذه المدينة وجد فى بعض أنحاء الهيكل رجلا يونانيا كان اليهود قد حبسوه فى هذا المكان ، وكانوا يقدمون له أحسن الأطعمة ليسمن ويزكو لحمه ، حتى يأتى يوم يخرجون به إلى إحدى الغابات ، فيذبحونه ويشربون دمه ويأكلون شيئا من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينثرون رماده فى الصحراء ، وإن ذلك كان تطبيقاً لوصية دينية لا تسعهم مخالفتها ، وأنهم كانوا يكررون فعلتهم هذه كل عام مع واحد من اليونان ، وأن هذا السجين قد استرحم الملك أن ينقذه فأنقذه .

-٢-

البعث والنشور واليوم الآخر عند اليهود

هذا، وقد كانت الديانة اليهودية فى أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبئ بذلك القرآن الكريم. ولكن أسفار العهد القديم التى بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه.

ومن ثم لا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذى يقرره الإسلام. ففرقة الصادوقيين[٢٦] تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان فى حياتهم. وفرقة الفريسيين[٢٧] تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى فى آخر الزمن، لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا فى ديانة موسى، أى إن بعث هؤلاء سيحصل فى الحياة الدنيا. فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين فإنهما تتفقان فى إنكار اليوم الآخر على النحو الذى يقرره الإسلام.

وقد ورد فى بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار، ولكن فى صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة.

---

(٢٦) انظر تعليق ٢٠ بصفحة ٤٢ وصفحة ٩٢ وتوابعها.

(٢٧) انظر ص ٨٩.

فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية وأنه لا يدحلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة التى تقدم ذكرها[٢٨] ، كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله فى اليوم الثانى من الأيام التى خلق فيها العالم، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ومن إليهم.– ويظهر أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب فى عقيدتها إلى ظاهر ما يقرره التلمود فى هذه الفقرات، فكانت تفسرها بمدلو لها الحقيقى لا بمدلولها المجازى. ويظهر أن القرآن الكريم يشير إلى هذه الفرق ويرد عليها إذ يقول: « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (أى وقالت بعض فرق اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وقالت بعض فرق النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا) « تلك أمانيهم ! قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون»[٢٩]

وفى هذه الأمور جميعها دليل آخر على أن أسفارهم هذه كلها من صنع أيديهم. وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التى أنزلها الله تعالى على موسى نورا وهدى للناس.

---

(٢٨) انظر ص ٤١ .

(٢٩) آية ١٥٩ من سورة البقرة .

-٣-

استقامة العقيدة عند بعض فرق اليهود

هذا وينبئنا القرآن الكريم أنه كان من بينهم فى كل عصر، حتى فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه، بعض أفراد عصمهم الله من زيغ العقيدة فآمنوا بما جاء فى التوراة الصحيحة التى أنزلها الله على موسى، وأتيح لهم الاحتفاظ بجميع أسفارها أو ببعضها نقية طاهرة خالية من التحريف. وفى هذا يقول الله تعالى: « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله قليلا، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب» (٣٠)، ويقول: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون» (٣١).

---

(٣٠) اية ١٩٩ من سورة آل عمران.

(٣١) آية ١٢١ من سورة البقرة.

الفصل الثانى

الشريعة فى أسفار اليهود

-١-

استيعاب الشريعة اليهودية لجميع شئون الحياة

تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيما كاملا لشئون الدين والدنيا معا. فلم تغادر أية ناحية من نواحى العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه... وما إلى ذلك، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحى وغيرها إلا وضعت لها حدوداً وقواعد، وبينت ما ينبغى أن تكون عليه، وما يجب اتخاذه فى حالة الخروج عليها، حتى شئون الأكل والشرب والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام فى الحرث.

غير أنه يلاحظ فى هذه الشريعة كثيرا من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل.

وسنعقد فيما يلى لكل ناحية من هذه النواحى الثلاث فقرة على حدة.

- ٢ -

مظاهر الانحراف فى شريعة اليهود

أما مظاهر انحرافها فكثيرة تجل عن الحصر. ومن أهم هذه المظاهر أنها تقوم على التفرقة العنصرية. وذلك أنها تجعل اليهود شعب الله المختار الذى اصطفاه الله وفضله على العالمين، وتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة فى سلم الإنسانية، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع.

فمن ذلك مثلا أن الإسرائيلين محرم عليهم فى هذه الشريعة أن يقتل بعضهم بعضا وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم؛ على حين أنه مباح للإسرائيلين، بل واجب عليهم، غزو الشعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلدما أن «يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف» فلا يبقوا على أحد منهم، ويسترقوا جميع نسائها وأطفالها ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع، أو ينهبوه حسب تعبير أسفارهم[1].

ومن ذلك أن الإسرائيلى إذا باع نفسه بيعا اختياريًا لأخيه الإسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته إلى المال فإن رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده إلى

---

(١) فقرتى ١٣، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية.

الحرية ؛ على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلى يظل قائما أبد الآبدين [٢]

ومن ذلك أنه ما كان يجوز للإسرائيلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلى ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، وإذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية ، كالرحا التى يطحن عليها قوته ، وجب أن يرده إليه فى المساء ؛ أما غير الإسرائيلى فمباح للإسرائيلى أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش [٣] .

بل إن أسفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الأزل أن يكون رقيقا لبنى إسرائيلى وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة ، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بنى إسرائيلى أن يردوهم إليها بحد السيف. وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله. وذلك أن نوحاً ، حسب ما يزعمه سفر التكوين ، قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه وانكشفت سوأته ، فرآه ابنه حام على هذا الصورة فسخر منه ، وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافث. ولكن هذين كانا مؤدبين فى جنب أبيهما وبارين به ، فحملا رداء وسارا به نحو أبيهما وهما مستظهران له حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا ما انكشف من جسمه.فلما أفاق نوح وبلغه

---

(٢) فقرات ١٠ ، ٢٩ ٤٧ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين ، وفقرة ١٢ من اصحاح ١٥ من التثنية ، وفقرات ٢ ، ٧ ١١ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج.

(٣) فقرة ٣٥ من اصحاح ١٥ وفقرة ٢٠ من اصحاح ٢٣ من سفر التثنية.

ما كان من موقف أولاده حياله لعن كنعان بن حام ، ودعا على نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث(٤).

وفى هذا المظهر برهان قاطع على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ، وأنهم قد ألفوها كما يشاءون وتشاؤه لهم أهواؤهم ، وأنها بعيدة كل البعد عن الأسفار المقدسة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام؛ فإن شريعة من عند الله لا يمكن أن تقر التفرقة العنصرية بين أفراد الآدميين: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم؛ إن الله عليم خبير(٥)»؛ «لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر، إلا بالتقوى(٦)»؛ «كلكم بنو آدم طف الصاع»(٧)، «إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وآدم من تراب»(٨).

ومن مظاهر الإنحراف فى شريعتهم كذلك أنها تقرّ كثيرا من أنواع الفحشاء. فقد جاء فى تلمودهم أن الولد الإسرائيلى لا يعاقب إذا زنى بأمه الأرملة، بل يجب عليه فى هذه الحالة أن يستمر على الزنا معها بعد زواجه صيانة للحالة التى كانت عليها قبل زواجه، وأن ذلك يعد حقا لها عليه.

---

(٤)فقرات ٢٠ – ٢٩ من الاصحاح التاسع من سفر التكوين.

(٥)آية ١٣ من سورة الحجرات.

(٦)حديث شريف من خطبته عليه السلام فى حجة الوداع.

(٧)أى إنكم متساون كما تتساووى الصيعان ممسوحة رءوسها.

(٨)حديث شريف من خطبته عليه السلام فى حجة الوداع.

وجاء فى تلمودهم كذلك أن الوالد الذى زنى ببنته بعد وفاة أمها لايقام عليه الحد، بل لا يعاقب ولا يزجر، لأنه بذلك يحفظ أمواله أن يبذرها مع العاهرات الأجنبيات، ويدرب ابنته على شئون الزوجية[9].

---

(٩) انظر فى ذلك مقالا للأستاذ عمر فتحى زادة بعنوان «صفحات مؤلمة من تاريخ البلقان» نشر فى عدد فبراير ١٩٦٥ من مجلة «الاعتصام» القاهرية.

- ٣ -

التضارب وعدم الوحدة فى شريعة اليهود

يظهر تضارب الشريعة اليهودية وعدم وحدتها فى أن أحكام أسفارها يتعارض بعضها مع بعض فى كثير من الشئون. فقد يقرر سفر فى أمر ما حكما ويجئ سفر آخر فيقرر فى الأمر نفسة حكما آخر.

فمن ذلك أن سفرى الخروج والتثنية يقرران أن الإسرائيلى الذى يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته إلى المال لا يدوم رقة إلا ست سنين[١٠] على حين أن سفر اللاويين يقرر أن رقة لا ينتهى إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلى (وهو العيد الذى يجىء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التى قضاها فى الرق قبل ذلك[١١]. فيمكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة إلا يوما أو أياما إذا استرق عقب العيد الخمسينى مباشرة.

ومن ذلك أيضا أن توراتهم المزعومة تبيح للإسرائيلى، رجلا كان أو امرأة، أن يبيع نفسه لأخيه الإسرائيلى فى الحالة السابق ذكرها. وفى ذلك يقول سفر التثنية «إذا باعك نفسه أحد من إخوانك، سواء أكان رجلا أم

(١٠)فقرة ٢ من اصحاح ٢١ من الخروج، وفقرة ١٢ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية.
(١١)فقرة ٤٠ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين.

امرأة، فإنه يخدمك ست سنين...»[١٢]؛ على حين أن أسفار التلمود لا تجيز ذلك إلا للرجل وحده[١٣].

وفى هذا المظهر دليل آخر على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم، وعلى أن كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم التى كانوا يسيرون عليها فى العصر الذى ألف فيه، وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التى أنزلها الله على موسى. **فإن كتابا من عند الله لا تتضارب أحكامه بعضها مع بعض على هذا النحو: «أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» (آية ٨٢ من سورة النساء).**

---

١) فقرة ١٢ من إصحاح ١٥ من سفر التقنية.

١) V. Mekhilta sur Exode XXI,7:; Naimonide I. cI,2;Zadok Kahn: LEsclavage dans la Bible et le Talmud

ظر مؤلفنا بالفرنسية

Ali Abdel Wahed: Contribution à une Theorie Sociologiq[illegible] l Esclavage, Paris, 1931, PP 55-57

- ٤ -

الاضطراب واختلاط المسائل فى شريعة اليهود

وبجانب المظهرين السابقين يلاحظ أن بعض شرائع العهد القديم يحمل فى طيه دليلا على اضطراب الحقائق فى أذهان محرريه واختلاطها بعضها ببعض ، ونسيانهم حظا كبيرا منها ، وغفلتهم عن أصولها .

فمن ذلك مثلا ما يذكرة سفر التثنية فى صدد القسامه إذ يقول : « إذا وجد فى بلد من البلاد التى منحكم ربكم السيطرة عليها رجل قتيل ملقاة جثته فى وسط حقل ، ولم يمكن الاهتداء إلى معرفة قاتله ، فإن كبراء كم وقضاتكم يذهبون فيقيسون المسافات بين الجثة والبلاد القريبة منها ، وعندما يصلون إلى تعيين أقرب هذه البلاد مسافة إلى الجثة يستدعون كبراءها ويطلبون إليهم أن يحضروا عجلة(بقرة صغيرة) لم تستخدم بعد فى عمل ما ولم تحمل بعد سكة المحراث(أى بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث) ويذهبوا بها إلى جدول لا تجف مياهه وفى منطقة غير ذات زرع ولا بذور ملقاة فى الأرض ، وينحروها من قفاها (مؤخرة عنقها) فى هذا الجدول . . . وحينئذ يتقدم المشرفون على الضحايا من اللاويين(قبيلة اللاويين هم أبناء لاوى أو ليفى أحد أبناء يعقوب كما تقدمت الإشارة إلى ذلك) وهم الذين اختارهم الرب لخدمته ولنشر البركة والرحمة باسمه ، وهم وحدهم الذين يحكمون فى قضايا الجنايات والجروح ، فيطلبون إلى كبراء هذه البلدة أن يغسلوا أيديهم

فوق العجلة التى نحرت من قفاها فى الجدول ، ويقسموا أن أيديهم لم ترق دم القتيل وأن أعينهم لم تره وهو يراق(أى يحلفون أنهم لم يقتلوه ولا علموا له قاتلا) . . . وبذلك لا يحتمل بنوا إسرائيل تبعة هذا الدم . . . »[١٤]

ويلاحظ أن الشريعة الإسلامية تقرر كذلك أنه إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله أجريت القسامة على أهل البلدة التى وجد فى طرقها أو بالقرب منها ، وأنه إذا وجدت جثته بين بلدين أجريت القسامة على أقربهما مسافة من مكان الجثة . والقسامة فى الإسلام أن يستحلف ولى الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة فيحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا ، فحينئذ يسقط القصاص ، ولكن تجب الدية على أهل البلدة جميعا ، يدفعونها متضامنين لأسرته[١٥] .

فإذا استعرضنا فى ضوء هذه الحقائق ما ذكره سفر التثنية عن إجراءات القسامة ووازنا بينه وبين ما تقره الشريعة الإسلامية فى هذا الصدد ، يظهر ما يلى :

١ - يتفق سفر التثنيه مع الشريعة الإسلامية فى إجراء القسامة على أقرب بلد إلى جثة القتيل وفى اختيار طائفة من أهل البلد ليحلفوا أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا حتى يسقط عنهم القصاص . - واتفاق سفر التثنية

---

(١٤)فقرات ١ - ٩ من اصحاح ٢١ من التثنية.

(١٥)انظر تفاصيل أحكام القسامة فى كتب الفقه الإسلامى وفى كتابنا «حقوق الانسان فى الإسلام» الطبعة الخامسة ص ٢٦٢ إلى ٢٦٥ . وما ذكرناه هو مذهب أبى حنيفة .

مع الشريعة الإسلامية فى هذه الأمور يجعلنا نرجح أن محررى هذا السفر قد استمدوا هذه الأحكام فى جملتها من توراتهم الصحيحة ، وأن الله تعالى قد شرع للمسلمين فى صددها ما سبق أن شرع مثله أو قريبا منه لليهود ، أى إنها من الأمور المشتركة بين الشريعتين والتى أشار إليها القرآن الكريم إذ يقول عن رب العزة « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى . . . »(١٦) .

٢ - ولكننا نجد فى سفر التثنية بجانب الأمور السابق ذكرها إجراء غريبا قد أقحم على إجراءات القسامة ، وهو الخاص بالعجلة التى يحضرها كبراء البلد وينحرونها من قفاها فى جدول ، ويغسلون أيديهم فوقها مقسمين أنهم لم يقتلوا القتيل ولم يعلموا له قاتلا . ويزيد من غرابة هذا الإجراء أنه لا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التى يريد أهل البلد أن يقرروها وهى براءتهم من دم القتيل ؛ لأن غسل أيديهم فى جدول ملوث بدماء العجلة التى نحروها بأيديهم وصب الماء فوق هذه العجلة كل ذلك لا يصلح أن يكون رمزاً لبراءتهم من جريمة القتل ، بل إنه الخليق أن يكون رمزاً لاقترافهم إياها .

٣ - وقد ورد لهذه البقرة ذكر فى القرآن الكريم ولكن فى صورة أخرى وفى حادثة قتل خاصة حدثت فى عهد موسى ولم يعلم فاعلها ، وكانت البقرة عنصراً من معجزة أظهرها الله على يديه . وبيان ذلك ما ذكره الله تعالى فى آيات ٦٧ - ٧٣ من سورة البقرة إذ يقول : « وإذ قال موسى

(١٦) آية ١٣ من سورة الشورى.

لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ؛ قالوا أتتخذنا هزوا ؟ ! قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؛ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ، فافعلوا ما تؤمرون. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؛ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ، قالوا الآن جئت بالحق ؛ فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .

وأشهر تفسير من تفاسير هذه الآيات وأصحها جميعاً أنه قد وقعت فى عهد موسى عليه السلام حادثة قتل لم يعلم فاعلها ، فطلب بنو إسرائيل إلى موسى أن يدعو ربه أن ينبئهم بمن ارتكب هذا الجرم. فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة. فعجبوا لذلك إذ لم تظهر لهم علاقة بين ذبح البقرة والكشف عن القاتل ، وظنوا أن موسى يهزأ بهم. ولكن موسى بين لهم أن هذا هو ما أمر الله به لإظهار الحق فى هذا الحادث. فأخذوا يستفسرون منه عن سن البقرة التى ينبغى أن يذبحوها وعن لونها وعن عملها. فلما شرح لهم ذلك كله بوحى من الله بحثوا حتى وجدوا بقرة تتوافر فيها هذه الصفات جميعاً فذبحوها. وأوحى الله تعالى إلى موسى أن يضربوا جثة القتيل بجزء من هذه البقرة ، فضربوها به ، فأحياه الله تعالى وذكر لهم اسم قاتله ، ثم مات ثانيا. فكان فى ذلك معجزة لموسى من جهة ، وبيان

حسى من جهة أخرى لقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، وهو الأمر الذى كان يرتاب فيه بنو إسرائيل .

ولذلك يختم الله هذه القصة بقوله : «كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون» . وفيه كذلك إشارة إلى أن بعث الله تعالى الحياة فى ميت لا يتوقف على سبب من الأسباب التى تدركها عقولهم ، وإنما أمر الله إذا أراد ذلك أن يقول له كن فيكون ؛ فيحدث بدون سبب ما أو يجيء عقب أمر لا يتصور العقل أن يكون سببا له كما فى هذه الحادثة ؛ إذ لا يتصور العقل أن ضرب جثة الميت بجزء من جثة حيوان ميت يمكن أن يكون سببا لبعث الحياة فيه .

٤ – ويلاحظ أن أوصاف البقرة التى ذكرها الله فى هذه المعجزة تتفق فى جملتها مع أوصاف العجلة التى ذكرها سفر التثنية فى إجراءات القسامة ؛ وأن ذبح البقرة التى يذكرها القرآن كان فى حادث قتل معين لم يعلم مقترفه ، وذبح العجلة التى يذكرها سفر التثنية يجب إجراؤه ، بحسب نصوصه ، كلما وجد قتيل لم يعرف قاتله .

٥ – فيظهر أن الأمر قد اختلط على محررى سفر التثنية فخلطوا بين ما جاء فى التوراة الصحيحة أو فى أثر آخر من آثارهم خاصا بالمعجزة التى حدثت على يد موسى ، وما جاء فيها خاصا بإجراءات القسامة العادية ، وجعلوا ذبح العجلة جزءا من هذه الإجراءات ، مع أنه غريب عنها كل

الغرابة ، ولا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التى يراد تقريرها ؛ بل إنه لخليق أن يكون رمزاً لنقيضها كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق[١٧] .

(١٧) فطن من قبلنا المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه «قصص الأنبياء» إلى وجوه الشبه بين قصة البقرة فى القرآن وأحكام القسامة فى سفر التثنية ، ولكنه حاول التوفيق بينهما فى صورة غريبة ، فجعل الآيات الواردة فى القرآن مشتملة على قصتين: قصة ذبح البقرة فى حالة وجود قتيل فى بلد غير إسرائيلى . وجعلها إشارة إلى أحكام القسامة فى سفر التثنية ؛ والأخرى قصة قتيل فى بلد إسرائيلى اتهم فيه القوم بعضهم بعضا ، فأمرهم الله أن يضربوا المتهم بعضو من أعضاء القتيل (« اضربوه بعضها » أى ببعض الجثة) . – وهذا تفسير غريب لا يتفق مع سياق القرآن ولا مع ما فهمه الصحابة من الآيات ولا مع ما قال المفسرون فى صددها . – هذا إلى أنه يحاول أن يطوع آيات القرآن حتى يجعلها متفقة مع ما جاء فى سفر التثنية ناظرا إلى ما جاء فى هذا السفر على أنه صحيح وأنه الأصل فى الموضوع ، مع أنه ظاهر فيه الخلط والتخبط والاضطراب .

ولعل هذا وأشباهه من الأمور الواردة فى هذا الكتاب هى التى دعت اللجنة التى ألفها المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين لفحص هذا الكتاب بعد أن وصلت إليه شكاوى واعتراضات كثيرة فى صدد ما ورد فيه إلى أن تذكر فى تقريرها : « أنها لا ترى تداوله بين طلاب المعاهد الدينية وغيرهم لأسباب أهمها أن مؤلفه تعسف فى التأويل وخرج الآيات القرآنية تخريجا بعيدا إن لم يكن باطلا ، فخالف ع بذلك إجماع المفسرين .

ولم يكف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا . وهو مع ذلك يتصرف فيما ينقل من أقوال وينكر بعض الأحاديث الصحيحة ليحكم عقله ، ويجعل التوراة والإنجيل مهيمنين على القرآن » .

هذا ، وقد ورد كذلك فى سفر العدد (فقرات ١ – ١١ من اصحاح ١٩ من سفر العدد) ذكر لبقرة صهباء صحيحة لا شبيه فيها ولم يعل عليها نير ووجوب ذبحها وحرقها ووضع رمادها فى ماء ليكون ماء استغفار . ولكن لا علاقة بين هذه البقرة وشئون القسامة .

وصدق الله العظيم إذ يقول فى صدد اليهود : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به »[١٨]

---

(١٨) آية ١٣ من سورة المائدة .



الفصل الثالث

القصص فى أسفار اليهود

— ١ —

موضوع القصص وطريقته فى أسفار اليهود

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح. فتكلمت بإجمال على خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما فى الجنة وبعد هبوطهما منها وما حدث لنسلهما بعد ذلك، وقصة نوح والطوفان، وقصة أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث؛ وعرضت بشىء من التفصيل لتاريخ نسل سام، وهم الذين ينتمى إليهم بنو إسرائيل، وبخاصة تاريخ آبائهم وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أو إسرائيل؛ ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بنى إسرائيل فى مختلف مراحل حياتهم فى مصر وسيناء وبعد استقرارهم فى الأرض المقدسة، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو موادة واتفاق... وهلم جرا.

وقد استغرق هذا القصص حيزا كبيرا من أسفار العهد القديم وأسفار التلمود.

- ٢ -

الفرق بين القصص فى أسفار اليهود وقصص القرآن الكريم

عرض القرآن لكثير من القصص التى ورد ذكرها فى هذه الأسفار غير أن أسفار اليهود قد تناولت كل قصة من هذه القصص فى صورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث ، كما تفعل كتب التاريخ ، وتناولتها لغرض تاريخى بحت ؛ على حين أن القرآن يكتفى بذكر مواقف من هذه القصص[١٩] ، ولا يذكرها للتاريخ فى ذاته ، وإنما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى ، ويذكرها بحسب المناسبات . فقد يذكر موقفا من قصة ما لمناسبة خاصة ، ثم موقفا آخر من القصة نفسها فى سورة أخرى لمناسبة أخرى ، وموقفا ثالثا من القصة نفسها فى سورة ثالثه . . . وهكذا ،

---

(١٩)لا يستثنى من ذلك من قصص الأنبياء الا قصة يوسف فإن القرآن ذكرها كلها مرة واحدة فى سورة واحدة ، ولم يعد إليها بعد ذلك . وفعل مثل ذلك فى قصة أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون (سورة يس) . وذكر كذلك بعض قصص لغير الأنبياء مرة واحدة ، ولم يعد إليها بعد ذلك ، كقصة أهل الكهف ، ذى القرنين ، وصاحب الجنة وهو يحاور صاحبه (فى سورة الكهف) ، وأصحاب الجنة إذا أقسموا ليصرفها مصحين (فى سورة ن) ، والذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها (١٧٥ ، ١٧٦ فى سورة الأعراف) ، والذى مرّ على قرية وهى هاوية على عروشها (٢٥٩ من سورة البقرة) .

وقد يعرض لعدة مواقف من قصة واحدة فى سورة واحدة ويفصل بين كل موقف وآخر بفواصل طويلة أو قصيرة. وقد يكرر الموقف نفسه فى عدة سور لتكرر المناسبة؛ ولكن فى لوحات بيانية مختلفة فى صياغتها وألوان مناظرها ومتسقة مع ما يكتنفها من قبلها ومن بعدها من أى الذكر الحكيم.

هذا، وقد انتاب القصص فى أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح الذى ورد فى القرآن، كما انطوى على كثير من مظاهر التناقض والغفلة والكذب والخطأ فى الحساب وجمع الأرقام كما يتبين ذلك فى الفقرات التالية:

-٣-

مظاهر التحريف فى القصص الوارد فى أسفار اليهود

يبدو تحريف القصص فى أسفار اليهود فى أمور كثيرة من أهمها ما يلى :

١ - أن الذات العلية تبدو فى أسفار توراتهم المزعومة ، وبخاصة فى القديم منها كسفر التكوين ، وفى بعض أسفار التلمود فى صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات الحوادث ، بل بكثير من صفات النقص ، وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق فى طبيعتها ومسلكها ، على النحو الذى بيناه فى الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الباب[٢٠] :

٢ - أن بعض من يذكر لنا القرآن أنهم رسل أو أنبياء تذكرهم أسفار اليهود على أنهم مجردآباء قدامى Patriarches كنوح وإبراهيم وإسحاق يعقوب ، أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان ، ومع ذلك تجيز اتصال الله بهؤلاء وأولئك بطريق مباشر واتصالهم به .

٣ أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء ، أو لبعض من تسميهم آباء لبنى إسرائيل أو ملوكا لدوهم أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى

---

(٢٠) انظر الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الباب ص ٣٣ وتوابعها .

والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته ، ولا يتصور صدورها لا من سفلة الناس.

فمن ذلك ما تقصه توراتهم المزعومة عن إبراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة إلى مصر على أثر ما أصاب بلاده من جدب ومجاعة ، إذ تذكر أن إبراهيم قال لزوجته وهما فى طريقهما إلى مصر إنها امرأة جميلة وإن المصريين لا بد أن يفتتنوا بها ، وإذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها أخته حتى تسلم له حياته ، بل ربما ناله حينئذ من المصريين خير كثير. ولما وصلا إلى مصر ووقع نظر طائفة من كبار رجال الحاشية الملكية على هذه المرأة الجميلة وعلموا من إبراهيم أنها ليست متزوجة وأنها اخته ، وأنهوا أوصافها إلى فرعون ، استدعاها إلى قصره واتخذها من نسائه أو حليلة له ، وبالغ فى إكرام إبراهيم والإحسان إليه من أجل ذلك ، ووهب له قطعانا من« الغنم والثيران والحمير» وعددا من العبيد والإماء. ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما تصاب به الجماعة عادة إذا ارتكبت فيهم فاحشة من هذا القبيل. فاستدعى الملك إبراهيم وأنبه تأنيبا شديداً لكذبه فى قرابة سارة منه وما ترتب على كذبه هذا من معاملته لها كإحدى نسائه مع أنها فى عصمة رجل آخر. وما أصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ، ثم أصدر أوامره بطرده هو وامرأته من بلاده. — ولكن تحقق لإبراهيم ما كان يبغيه من عافية ومال : فقد سلمت له حياته ؛ وسمح فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق أن وهبه له من أنعام وعبيد وإماء[٢١] . وكرر إبراهيم فعلته هذه—

---

(٢١) فقرات ١٠ — ٢٠ من إصحاح ١٢ من سفر التكوين.

بحسب ما يذكره سفر التكوين — حينما هاجر إلى منطقة جيرار ، وكاد ابو مالك Abimélec حاكم جيرار يرتكب الإثم مع سارة لولا أن أظهره الله فى المنام على حقيقتها وأنها امرأة إبراهيم ، فاستدعاه الحاكم وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران والعبيد والإماء.(٢٢) — فكأنما كان إبراهيم يتاجر بأمراته هذه متنقلاً بها من بلد إلى بلد .

ومن ذلك أيضا ما تقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه ، إذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتى سودوم وعمورة اللتين دمرهما الله تعالى لما كان يرتكبه أهلها من إتيان الذكور إلا لوط وابنتاه غير المتزوجتين ؛ وأن ثلاثتهم قد أقاموا عقب ذلك فى غار فى جوف جبل مرتفع ؛ وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما : «إن أبانا قد أصبح شيخا كبيرا ، وليس فى هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذى يفعله ذكور الناس مع إناثهم . وإذا بقى الأمر على هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا . وخير وسيلة لا تقاء هذه العاقبة هى أن نسقى أبانا خمرا حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتى منه بذرية تخلد نسله» . وأنفذتا ما اتفقتا عليه . وقضت معه الكبرى الليلة الأولى والصغيرة الليلة التالية ، وواقع لوط كلتيهما وهو فى نشوة سكره ، فحملتا منه ، وجاءت الكبرى بغلام اسمه مؤاب ، وجاءت الصغرى بغلام اسمه عمون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين(٢٣) .

---

(٢٢) اصحاح ٢٠ من سفر التكوين.

(٢٣) فقرات ٣٠ — ٣٩ من الاصحاح ١٩ من سفر التكوين.

ومن ذلك ما يقصه السفر الثانى من سفرى صموئيل عن داود عليه السلام إذ يذكر أن دواد كان يمشى فى صباح يوم على سطح قصره الملكى ، فوقع بصره فى المنزل المجاور له على امرأة مفرطة الجمال وهى تستحم مجردة من جميع ثيابها ، فشغف بها حبا ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجة أوريا الحثى Urie de héthien ، أحد الجنود المرسلين فى حملة حربية تحت قيادة يؤاب Joab . فبعث داود فى طلبها ، فجىء بها إليه وبعد أن قضى منها وطره عادت إلى منزلها وقد حملت منه . فاستدعى داود زوجها من الجيش وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ، ونفحه ببعض الهدايا ، وطلب إليه أن يذهب إلى منزله ليستريح هذه الليلة . وكان داود يرمى من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها إليه ، ولا تعلق بداود ولا بالمرأة شبهة ما . ولكن الرجل أبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة واللذة فى بيته بينما جيش بلاده مشتبك فى معركة مع الأعداء . فلم يذهب إلى بيته ، وإنما قضى ليلته نائما مع خدم القصر الملكى . ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب إحجامه عن الذهاب لبيته ، فأجابه بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام فى بيته وزملاؤه يحاربون فى خارج البلاد . فطلب إليه أن يبقى يوما آخر ، ودعاه إلى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب إلى زوجه . ولكن أوريا لم يفقد رشده . فقضى ليلته هذه كما قضى ليلته السابقة نائما مع خدم داود فى القصر الملكى . ولما ضاق داود به ذرعا ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه إلى الجبهة وأرسل إلى يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا فى أخطر جبهة فى ميدان القتال وأن يتخلى عنه حتى يقتل . فصدع يؤاب بالأمر ، وقتل أوريا فى الميدان . وحينئذ أتيح لداود أن يضم زوجته إلى نسائه بعد أن انقضى

حدادها على زوجها ، ووضعت حملها وهى فى عصمة داود ، وخفى بذلك على جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيسة ، إذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها البطل وهو يذود عن حياض بلاده ، مع أنه كانت له زوجات وجوار كثيرات . فأرسل الله إليه ناثان Nathan وقص عليه قصة رجلين يملك أحدهما قطعانا كبيرة العدد من الأبقار والنعاج ، بينما لا يملك الآخر إلا نعجة واحدة . وفى أحد الأيام قدم ضيف على الغنى ، فمد يده إلى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه . فغضب داود من فعلة هذا الغنى ، وقال لناثان إن هذا الرجل يستحق الموت ، ويجب أن يرد النعجة أربعة أضعاف . فقال له ناثان إنك أنت نفسك هذا الرجل . وأخذ يؤنبه ويتوعده بما سيحيق به وبأهله من عذاب ونكال . فاعترف داود بذنبه ، واستغفر ربه وتاب إليه ، فغفر له . . . إلى آخر ما ورد فى هذا السفر(٢٤) .

والقصة على هذا الوضع محض افتراء ، ولا يتصور صدور وقائعها من نسان عادى ذى خلق ، فضلا عن نبى كريم .

ومن ثم أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيراً إذ فسروا ما جاء فى القرآن الكريم فى صورة ص(٢٥) عن داود والخصمين اللذين اختصما إليه على النحو الذى ورد فى سفر صموائيل ، مع أن العبارات التى ذكرت بها القصة فى القرآن الكريم لا تدل صراحة على شئ من ذلك . ولذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : «من حدث بحديث داود على ما

---

(٢٤) الإصحاحين ١١ ، ٢٢ من السفر الثانى من سفرى صموئيل.
(٢٥) آيات ٢١ - ٢٥ من سورة ص.

يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة » ، يقصد بذلك ان من يحدث هذا الحديث فإنه يرتكب جريمة القذف بدون حق . وحد هذا القذف فى الإسلام ثمانون جلدة ، ولكن إذا تناول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين.

وأشنع من هذا كله ما أورده سفر الخروج ، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة ، عن قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبى ، إذ قص هذه القصة فى صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يرعون لأنبيائهم حرمة ، ولا يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التى بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم إلى الشرك بالله . فقد نسب هذا السفر إلى هارون عليه السلام نفسه أنه قد يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ، ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيده فى سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله . فذكر فى إصحاحه الثانى والثلاثين أن موسى لما غادر قومه لتلقى الألواح من ربه ، وطال أمد غيابه عنهم ، طلبوا إلى هارون أن يصنع لهم إلاها تدركه أبصارهم ، لأنهم لا يعلمون ما انتهى إليه أمر موسى ، ولا يدركون الإلاه الذى يحدثهم عنه . فطلب إليهم هرون أن يحضروا له جميع أقراط الذهب المدلاة من آذان نسائهم وبناتهم وبنيهم ، فجمعوا هذه الحلى ، فصهرها بنفسه ، وصنع منها عجلا ذهبا ليتخذوه إلاها ، فخر بنو إسرائيل سجداً له ، وقدموا له القرابين ، وقالوا هذا إلاه إسرائيل الذى أخرجهم من مصر وأنقذهم من شقائها[٢٦]

---

(٢٦)اصحاح ٣٢ من سفر الخروج.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة هذا العجل إشارة مجملة فى عدة آيات ، منها قوله تعالى : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين[٢٧] » .

وذكر القرآن تفاصيل هذه القصة فى سورتى الأعراف وطه مبينا كذب ما نسبه محررو سفر الخروج إلى هارون ، فقرر أن الذى قام بصنع هذا العجل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم فى أثناء غياب موسى لتلقى الألواح من ربه رجل سامرى ، أى منسوب إلى طائفة يقال لها السامرة ، (وهى جماعة من غير بنى إسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالإسرائيلين ، وكان الإسرائيليون ينظرون إلى أفرادها على أنهم أحط منهم كثيراً قدراً ومنزلة ، أو يرجع أصله إلى إقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين) ، وأن هرون لم يأل جهداً فى نهيهم عن ضلالهم والعمل على رجعهم إلى دينهم الحق ، ولكنهم لم يستمعوا إليه ، وأن كل ما أخذه موسى على هرون أنه لم يتركهم ويلحق به ليبلغه ما انتهى إليه أمرهم ، أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه ، وأن هرون قد برر موقفه بأنه خشى إذا فعل ذلك أن يفرق بين بنى إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض ، وذلك إذ يقول فى سورة طه :

« . . . فكذلك ألقى السامرى . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار » (أى من الحلى التى أشار إليها فى الآية السابقة ، وهى الحلى التى أهداها

(٢٧) ايتى ٩٢ ، ٩٣ من سورة البقرة.

ليهم المصريون قبل خروجهم والتى اختلسوها منهم ، وقد صهرها السامرى على صورة عجل بداخل فمه تجاويف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتا كصوت الخوار) « فقالوا هذا إلاهكم وإلاه موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعونى وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ؟ ! » (أى أن نتركهم وتلحق بى لتنهى إلى أمرهم ، أو أن تقاتلهم بمن عسى أن يكون معك) « أفعصيت أمرى ؟ ! قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى »[٢٨] .

وإذ يقول فى سورة الأعراف : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ؟ ! اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ؟ ! وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين . إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين »[٢٩] .

---

(٢٨)آيات ٨٣ – ٩٨ من سورة طه.

(٢٩)آيات ١٤٨ – ١٥٢ من سورة الأعراف.

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلاها يحسونه ، والتى ذكرها سفر الخروج فى حادث العجل زاعما أنهم قد طلبوا ذلك إلى هارون وأن هارون قد أذعن لرغبتهم الآثمة ؛ فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح ، فقرر أن الطلب كان موجها إلى موسى نفسه لا إلى هارون ، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الإلاه ؛ وذلك إذ يقول : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلاها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلاها ، وهو فضلكم على العالمين »[٣٠] .

ومن الشناعات التى ترويها كتبهم المقدسة المزعومة ما تذكره عن سليمان وأنه فى أواخر ملكه ترك عبادة الله وانحرف إلى عبادة الأوثان ، وبنى لها معبدا وسقط فى نظر الله (اصحاج ١١ من سفر الملوك الأول) . وفى الرد على هذا يقول الله تعالى : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا . . . » (آية ١٠٢ من سورة البقرة) .

٤ - أن التحريف قد يتناول قصة ما لتبرير وضع اجتماعى أو سياسى ظالم سار عليه بنو اسرائيل فى مرحلة ما من مراحل تاريخهم .

فمن ذلك أن قصة نوح مع ابنه التى حدثنا عنها القرآن اذ يقول « ونادى نوح ابنه ، وكان فى معزل : يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ؛ قال لا عاصم اليوم من

---

(٣٠)آيات ١٣٨ - ١٤٠ من سورة الأعراف.

أمر الله إلا من رحم ؛ وحال بينهما الموج ، فكان من المغرقين »[٣١] ، قد حرفها سفر التكوين تحريفا كبيرا إذ يذكر أن حاما بن نوح قد رأى أباه وهو سكران مكشوف العورة ، فسخر منه ، فلما أفاق نوح من سكره ، وعلم ما كان من ابنه حام ، دعا على ذريته ، وهم الكنعانيون ، بأن يكونوا عبيداً لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام ويافث[٣٢] . ويقصد الذين حرفوا هذه القصة إلى هذا الوضع الغريب ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق[٣٣] ، أن يبرروا الأوضاع الشاذة الظالمة التى كان يسير عليها بنو إسرائيل حيال الكنعانين إذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم وأطفالهم ويتخذون منهم عبيدا وإماء ، زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم إلى الوضع الذى كتب عليهم فى الأزل أن يكونوا عليه .

٥ – وفى كثير من قصصهم الواردة فى عهدهم القديم بوجه عام ، وفى توراتهم المزعومة بوجه خاص ، من المتناقضات والمفارقات والغفلة عن حقائق سبق إيرادها والخطأ فى جمع الأرقام وفى الحساب . . . ما يجل عن الحصر وما يضيف إلى الأدلة السابقة أدلة جديدة قاطعة بأن أسفارهم هذه من صنع أيديهم . وسنقتصر فيما يلى على إيراد بضعة أمثلة تنطوى على نماذج مختلفات من الكذب والتناقض فى أقاصيص أسفارهم[٣٤] .

---

(٣١)آيتى ٤٢، ٤٣ من سورة هود.

(٣٢)فقرات ٢٠ – ٢٩، اصحاح ٩ من سفر التكوين. وقد ذكرنا هذه القصة بتفصيل فى لفقرة الثانية من الفصل الثانى من هذا الباب لبيان أن شريعتهم تقوم على التفرقة العنصرية .

(٣٣)التعليق السابق نفسه.

(٣٤)أفرد العلامة ابن حزم فى الجزء الاول من كتابه القيم «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» فصلا خاصا شغل حيزا كبيرا (من صفحة ٩٣ الى صفحة ١٦٦ من أكبر قطع) لضرب أمثلة لهذه =

فمن ذلك أن سفر التكوين يذكر فى الفقرة الثانية من إصحاحه الرابع أن هابيل بن آدم كان راعى غنم ، ثم يذكر بعد ذلك فى الفقرتين التاسعة عشرة والعشرين من الإصحاح نفسه أن يا بال Jabal وهو فى العقب السابع بعد هابيل (فهو يابال بن لامِ بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قابيل بن آدم) (Jabal, Lemec, Metuchaël, Mehujael, Irad, Henoc, Caïn, Adam) كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام .

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرة الثالثة من إصحاحه السادس أن الله تعالى فى عصر نوح قد غضب على النوع الإنسانى فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز ١٢٠ مائة وعشرين سنة . ثم ذكر بعد ذلك فى الإصحاح الحادى عشر من السفر نفسه أن سام بن نوح عاش ٦٠٠ سنة ، وأرفكشاد بن سام ٤٣٨ سنة ، وشالح بن أرفكشاد ٤٣٣ سنة ، وعابر ابن شالح ٤٦٤ سنة ، وفالج بن عابر ٢٣٩ سنة ، ورعو بن فالج ٢٣٩ سنة ، وسروج بن رعو ٢٣٠ سنة ، وناحور بن سروج ١٤٨ سنة ، وتارح ابن ناحور ٢٥٠ سنة .

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرة الثانية والثلاثين من الإصحاح الخامس أن نوحا حينما بلغ خمسمائة سنة ولد له سام . وذكر فى الفقرة السادسة من الإصحاح السابع أن الطوفان قد حدث حينما بلغ سام سن المائة . ثم ذكر بعد ذلك فى الفقرة العاشرة من الإصحاح الحادى عشر من السفر نفسه أن سام حينما بلغ مائة سنة ولد له أرفخشاد وأن ذلك كان

= الأمور ، وجعل عنوانه : «فصل فى مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة فى الكتاب الذى يسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم يتعين بذلك تحريفها وأنها غير الذى أنزله الله عز وجل».

بعد سنتين من الطوفان . أى أن الطوفان قد حدث وسن سام ثمان وتسعين سنة لا مائة سنة كما ذكر من قبل .

ومن ذلك أيضا أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من الإصحاح التاسع عشر أن الملكين اللذين أرسلا لتدمير قريتى سدوم وعمورة قالا للوط أخرج بنيك وبناتك (المتزوجات وغير المتزوجات ، وكان منهم اثنتان غير متزوجتين) وأصهارك (أزواج بناته) وكل من لك فى المدينة لأننا سندمرها . ثم ذكر فى الفقرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من الإصحاح نفسه أنه لما طلع الفجر كان الملكان يستعجلان لوطا قائلين له قم خذ امرأتك وبنتيك (غير المتزوجتين) واخرج بهن لأننا سندمر المدينة . ولما توانى أمسك الملكان بأيدى امرأته وبنتيه (غير المتزوجتين) وأخرجوهن . ويتبين من ذلك أن الملكين قد تناقضا فى أمرهما المكلفين به من قبل الله تعالى . فقد طلبا أولا إلى لوط أن يخرج بنيه وأصهاره وجميع بناته المتزوجات منهن وغير المتزوجات وجميع أهله ، ولكنهما فى المرة الثانية لم يطلبا إليه أن يخرج إلا امرأته وبنتيه غير المتزوجين . ويظهر من ذلك أيضا أن بنيه وبناته المتزوجات وأزواجهن قد هلكوا مع من هلك فى المدينة . وهذا يتناقض مع ما ذكره الملكان من قبل من أنهما ملكفان الإبقاء على هؤلاء .

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى فقراته المحصورة بين التاسعة عشرة والسابعة والعشرين (٢٠ - ٢٦) من إصحاحه الخامس والعشرين

أن رفقة Rebecca زوجة اسحاق كانت عاقراً ، فدعا اسحاق ربه أن يهبه منها أولادا ، فاستجاب له ربه ، وحملت امرأته ، وتزاحم فى بطنها ولدان ، فمضت لتلتمس علما من الله عز وجل عما فى بطنها ، فقال لها الله فى بطنك أمتان تتفرعان عن توأمين أحدهما أكبر من الآخر (أى يولد قبل الآخر) وسيصبح كبيرهما مسخراً لصغيرهما . فلما كملت أيام حملها خرج من بطنها توأمان : خرج أولها (وهو الأكبر) أحمر مكسو بفروة شعر ، ولذلك سموه عيسو Esaï، ثم خرج أخوه (وهو الأصغر) ويده ممسكة بعقب عيسو ، ولذلك سمى يعقوب . — ثم جاء بعد ذلك فى الإصحاحين الثانى والثلاثين والثالث والثلاثين من السفر نفسه أن يعقوب (وهو الأصغر) هو الذى كان خاضعاً لعيسو (الأكبر) وأنه سجد على الأرض سبع مرات إجلالا لعيسو ، ولم يخاطبه إلا بالعبودية والتذلل المفرط ، وأن جميع أولاد يعقوب (ماعدا بنيامين الذى لم يكن قد ولد بعد) قد سجدوا لعمهم عيسو ، وأن يعقوب أهدى لعيسو تقرباً إليه والتماسا لرضاه خمسمائة وثمانين رأسا من ضأن ومعز وبقر وإبل وحمير ، وأن يعقوب رآها منه عظيمة إذ قبلها منه ، وأن بنى عيسو لم يخضعوا قط لبنى يعقوب بل إن بنى يعقوب هم الذين خضعوا لبنى عيسو فى أثناء مرحلة كبيرة من مراحل تاريخهم .

ومن ذلك أيضاً أن سفر التكوين قد ذكر فى إصحاحه السابع والعشرين أن اسحاق (وكان قد كف بصره) قال لابنه عيسو يابنى قد شخت ولا أعلم يوم موتى ، فاخرج وصد لى صيدا . واصنع لى منه طعاما كما أحب ، وائتنى به لآكله كى أباركك قبل أن أموت ، وأن رفقة امرأة

اسحق وأم عيسو ويعقوب قد أرادت أن يختص ابنها يعقوب بهذه البركة ، فدبرت حيلة لتحقيق غرضها ، فأمرت يعقوب أن يأخذ جديين وتصنع هى منهما طعاما لإسحق ، ويأتى بهما يعقوب إلى اسحق أبيه فيقدمهما إليه ليباركه ، وأن يعقوب قال لأمه إننى أخشى أن يكشف أبى هذه الخديعة حينما يتحسس جسمى فيجدنى أجرد ، مع أن جسم أخى عيسو مكسو بفروة شعر ، فأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له سأدبر حيلة لذلك ، فأخذت ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب . ووضعت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه ، حتى إذا تحسس اسحق جسمه ظن أنه جسم عيسو . وأعطت يعقوب الطعام ، فجاء به إلى أبيه ، وقال يا أبى ، فقال له اسحق من أنت ياولدى ؟ قال يعقوب أنا ابنك عيسو بكرك (أى أكبر ولديك) صنعت جميع ما قلت لى ، فاجلس وكل من صيدى وبارك على ! فقال اسحق تقدم لأتحسس جسمك ولأتبين هل أنت عيسو أم لا . فتقدم يعقوب فجسه اسحق ، وقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . وقال هل أنت ابنى عيسو ؟ فقال نعم أنا ابنك عيسو . فبارك عليه وقال له فى بركته : تخدمك الأمم ، وتخضع لك الشعوب ، وتكون مولى إخوتك ، ويسجد لك بنو أمك .

وحدث بعد ذلك أن عيسو أتى بالطعام إلى اسحق ، فعرف اسحق الخديعة التى عملها ابنه يعقوب ، ولكن اعتذر لعيسو ، وقال له قد خدعنى أخوك يعقوب واختص ببركتى ، وصيرته سيدا لك ، وجعلت جميع إخوته عبيداً له ولأولاده ، فماذا عسى أن أعمله لك بعد ذلك ؟ ! فقال عيسو لأبيه ألك بركة واحدة ياأبى ، باركنى أنا أيضاً . ورفع عيسو صوته وبكى . فباركه اسحق قائلا : سيكون مسكنك فى بلد مجرد من

دسم الأرض وغيث السماء ، وستعيش مما يفيئه عليك سيفك . تستعبد لإخوتك ، ولكنك ستجمح وتكسر نير الاستعباد عن عنقك .

وقد بين العلامة ابن حزم ، فى نقد لاذع وتحليل رائع ، مافى هذا النص من أكاذيب وخرافات ومتناقضات إذ يقول(٣٥) .

«وفى هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات »

« فأول ذلك إطلاقهم على نبى اللّه يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه . وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء . فكيف من نبى مع أبيه وهو نبى أيضاً ؟ ! هذه سوءات مضاعفات » .

« وثانية ، وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة بغش وخديعة وتخابث . وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا . ولعمرى إنها لطريقة اليهود ، فما تلقى منهم إلا الخبيث الخادع وإلا الشاذ » .

« وثالثة وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا » .

« ورابعة وهى أنه لايشك أحد فى أن اسحق عليه السلام إذ بارك يعقوب حينما خدعه ، كما زعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس ، إنما قصد بتلك البركة عيسو ، وأنه دعا لعيسو لا ليعقوب . فأى منفعة للخديعة هاهنا ، لوكان لهم عقل . وما أشبه هذه القضية بحمق الغالية من

---

(٣٥)انظر الجزء الأول من «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم صفحة ١٠٨ وتوابعها. وانظر كذلك أمثلة كثيرة من هذا القبيل فى كتاب «اظهار الحق» لرحمة الله الهندى ، فقد خصص لذلك نحو ٣٥ صفحة (من ٥٦ - ٧٦ ومن ١٢٣ - ١٣٨ من كتابه هذا (طبعة مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء) .

الرافضة القائلين إن الله تعالى بعث جبريل إلى على ، فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد . (فأصبح محمد نبيا مع أن عليا كان هو المقصود عند الله) . وهكذا بارك اسحق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب . فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله » .

« فهذه وجوه الخبث والغش فى هذه القضية » .

« وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً . من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام ، وهو نبى الله تعالى ورسوله ، فى أربعة مواضع » .

« أولها وثانيها قوله لأبيه اسحق أنا ابنك عيسو وبكرك . فهاتان كذبتان فى نسق ، لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره » .

« وثالثها ورابعها قوله لأبيه صنعت جميع ماقلت لى فاجلس وكل من صيدى . فهاتان كذبتان فى نسق ، لأنه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده » .

« وكذبات أخرى وهى : بطلان بركة اسحق إذ قال ليعقوب تخدمك الأمة وتخضع لك الشعوب وتكون مولى إخوتك ، ويسجد لك بنو أمك ، وبطلان قوله لعيسو تستعبد لأخيك » .

« فهذه كذبات متواليات . فوالله ماخدمت الأمم يعقوب ولابنيه بعده ، ولا خضعت لهم الشعوب ، ولا كانوا موالى إخوتهم ، ولا سجد لهم ولا له بنو أمه . بل إن بنى إسرائيل هم الذين خدموا الأمم فى كل بلدة وخضعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها . فإن قالوا سيكون ذلك ، قلنا لهم :

قد حصلتم على الصغار يقينا والأماني بضائع السخفاء
ترجى ربيع أن ستحيا صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

لاسيا مع تقصي جميع الآماد التى كانوا ينبئون بأنها لاتنقضى حتى يرجع أمرهم » .

« واعلموا أن كل أمة أدبرت فإنهم ينتظرون العودة ويمنون أنفسهم بالمراجعة ، بمثل ماتمنى به إسرائيل نفسها ، ويذكرون فى ذلك مواعيد كمواعيدهم . فأمل كأمل ولا فرق . كانتظار مجوس الفرس بهرام هماوند راكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى . . .

تمنٍّ يلذ المستهام بمثله وإن كان لايغنى فتيلا ولايجدى
وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا ولكنه غيظ الأسير على القد »

« وأما قوله تكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أمك ، فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهارا ، إذ فى توراتهم أن يعقوب كان راعيا لأنعام ابن عمه لابان بن ناحور بن لامك وخادمه عشرين سنة ، وأنه بعد ذلك سجد هو وجميع ولده - حاشا من لم يكن خلق منهم بعد - لأخيه عيسو مرارا كثيرة » .

« وما سجد عيسو قط ليعقوب ، ولاملك قط أحد من بنى يعقوب بنى عيسو . وقد تعبد يعقوب لعيسو فى جميع خطابه له ، وما تعبد قط عيسو ليعقوب . وقد سأل عيسو يعقوب عن أولاده فقال له يعقوب هم أصاغر منَّ الله بهم على عبدك . وقد طلب يعقوب رضاء عيسو وقال له : إنى نظرت إلى وجهك كمن نظر إلى بهجة الله ، فارض عنى ، واقبل ما أهديت إليك . فما نرى عيسو وبنيه إلا موالى يعقوب وبنيه » .

« فما نرى تلك البركة كانت إلا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان . ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث فى زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة » .

ومن عجب أنه مع هذا الخلاف الجوهرى الكبير بين قصص القرآن وقصص أسفارهم وتوراتهم المزعومة ، وبين نور الحق فيما جاء به الكتاب الكريم وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاءت به أسفارهم ، لا ينفك كثير من المستشرقين ومن يدور فى فلكهم يزعمون أن محمدا قد نقل قصصه من قصص اليهود : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا »[٣٦] . – وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله · « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »[٣٧] ، وإذ يقول : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »[٣٨] .

---

(٣٦)آخر آية ٥ من سورة الكهف.
(٣٧)آية ١٢٠ من سورة هود.
(٣٨)آية ١١١ من سورة يوسف.

الباب الثالث
فرق اليهود

— ١ —

نظرة مجملة فى فرق اليهود

انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية[1] تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وروحه من الفرق الاخرى . وأهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى Traditions orales وأسفار التلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم . وقد انقرض معظم فرقهم ولم يبق منها فى الوقت الحاضر إلا القليل . وترجع أهم فرقهم الباقية والمنقرضة إلى خمس فرق ، وهى فرقة الفريسيين ، وفرقة الصدوقيين ، وفرقة السامريين ، وفرقة الحسديين ، وفرقة القرائين .

وسنعقد فيما يلى لكل فرقة من هذه الفرق فقرة على حدة .

---

(١) انقسم اليهود كذلك من الناحية السياسية إلى عدة فرق ودويلات ؛ ومن الناحية القبلية إلى عدة قبائل وعشائر وبطون ؛ ولكننا سنقصر حديثنا فى هذا الباب على فرقهم الدينية ، لأنها هى وحدها التى تتصل بموضوع كتابنا.

– ٢ –

فرقة الفريسيين Pharisiens

وهى أهم فرق اليهود وأكثرها عددا فى ماضى تاريخهم وحاضره . وترجع أهم مميزات هذه الفرقة من ناحية العقيدة إلى الأمرين الآتيين .

١ – أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود . بل إن فقهاءهم (وهم الذين يطلق عليهم اسم الربانيين) هم الذين ألفوا أسفار التلمود كما سبق بيان ذلك[٢] .

٢ – أنها تؤمن بالبعث ، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح المنتظر الذى يزعمون أنه سيأتى لينقذ الناس ويدخلهم فى ديانة موسى[٣] .

* * *

---

(٢) انظر أول الفصل الثانى من الباب الأول (ص ٢٦) .

(٣) انظر الفقرة الثانية من الفصل الأول من الباب الثانى (صفحتى ٤٩ ، ٥٠) .

وتذكر أناجيل المسيحين أن الفريسيين كانوا من ألد أعداء المسيح عيسى بن مريم ، وأنهم هم الذين حاولوا أن يظهروه بمظهر الداعى إلى شق عصا الطاعة على قيصر ، وكانوا على رأس المتآمرين به ، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم عليه بالصلب[٤] .

وتتضمن هذه الأناجيل فصولا طويلة يوجه فيها المسيح عليه السلام تقريعا شديدا إلى الفريسيين ويكشف عن كفرهم ونفاقهم والتوائهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم تعاليم وأحكاما فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان[٥] .

ولا نعلم على وجه اليقين متى تكونت هذه الفرقة . ومن أشهر ما قيل فى هذا الصدد ما ذكره المؤرخ اليهودى يوسفيس Flavivs Jpsephus[٦] من أنها تكونت فى عهد يوناثان Uonathan الذى كان صديقا حميما لداود عليه السلام .

---

(٤) انظر مثلا انجيل حتى ، الإصلاح الثانى والعشرين والإصحاحات التالية له إلى آخر هذا الانجيل .

(٥) انظر مثلا إلا صحاح الثالث والعشرين من إنجل متى .

(٧) فيلافيوس يوسفيس ، ولد سنة ٣٧ بعد ميلاد المسيح ، أى عقب حادث الصلب الذى يزعمه النصارى ، وتوفى سنة ٩٥ ، وهو من أقدم الباحثين فى تاريخ اليهود ومن أشهرهم وأوثقهم .

وكلمة الفريسيين تفيد فى أصلها معنى المعتزلة أو المنعزلين[٧] . ولا يعرف بالضبط من أطلق عليهم هذا اللقب ، ومن الذى لقبهم به . ويظهر أن خصومهم الصدوقيين الذين سنتكلم عليهم فى الفقرة التالية هم الذين أطلقوه عليهم . أما الفريسيون أنفسهم فكانوا يطلقون على أفراد فرقتهم لقب الإخوان أو الرفقاء

ويطلق كذلك على هذه الفرقة لقب الربانيين لأنهم يؤمنون بما جاء فى أسفار التلمود التى ألفها الربانيون وهم أحبار هذه الفرقة وفقهاؤها .

---

(٧) أطلق لقب « المعتزلة » كذلك على طائفة من علماء « الكلام » (التوحيد) المسلمين . وقيل عن السبب فى إطلاق هذا اللقب عليهم أن مؤسس مدرستهم وهو واصل بن عطاء قد « اعتزل » مجلس أستاذه الحسن البصرى حينما اختلف معه فى الحكم على مرتكب الكبيرة ، فقد ذهب واصل بن عطاء إلى أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين (بن الإيمان والكفر) ، بينما يذهب أهل السنة إلى أنه مؤمن عاص . وإذا كان هذا هو السبب فى إطلاق لقب « المعتزلة » عليهم فلا تكون هناك علاقة بين لقبهم ولقب الفروسيين .

ولكن المقريزى قد ذهب إلى وجود علاقة بينهما إذ يقول فى خططه إنه كان منتشرا فى عصر ظهور المعتزلة المسلمين طائفة من اليهود اسمهم الفروشيم ، ومعنى ذلك « المعتزلة » وأن هذه الطائفة تشبه فى بعض أقوال المعتزلة . فلا يبعد أن يكون بعض من أسلموا من اليهود قد أطلقوا هذا اللقب عليهم لوجوده الشبه بينهم وبين الفروشيم . ومن أظهر وجوه الشبه بينهما أن معتزلة اليهود (الفروسيين) كانوا يفسرون التوراة على مقتضى منطق الفلاسفة ، وكان معتزلة المسلمين كذلك يتناولون كل ما فى القرآن من أوصاف فيؤولونه على مقتضى منطق الفلاسفة . (انظر فى ذلك كلمة بعنوان « المعتزلة » فى عود ٧١/١١/٨ جريدة « الأخبار ») .

– ٣ –

فرقة الصدوقين Saducéens

وهى الفرقة التى كانت تالية فى الأهمية لفرقة الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسيح وفى المرحلة الأولى اللاحقة للميلاد . وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودى فى هاتين المرحلتين بحوادث الخلاف والمشادات بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين .

ويرجع أهم ما تختلف فيه هذه الفرقة من ناحية العقيدة عن فرقة الفريسيين إلى الأمرين الآتيين :

١ – أنها لا تعترف إلا بالعهد القديم ، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى (وأما أسفار التلمود فقد ألفها فيما بعد فقهاء الفريسيين كما تقدم بيان ذلك فى الفقرة السابقة) .

٢ – أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر ؛ وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم .

وتذكر أناجيل المسيحيين أن هذه الفرقة قد حاولت أن تستدرج المسيح حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر وينضم إليهم فى ذلك ضد الفريسيين ؛ ولكنهم أخفقوا فى ذلك ، وبين لهم المسيح فساد ما يعتمدون عليه من أدلة فى هذا الموضوع .

فقد جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى « أن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاءوا إلى المسيح قائلين له يا معلم لقد قال موسى إذا

مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ابنا ينسب إلى أخيه ويخلد ذكره . فكان عندنا سبعة إخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر ، فتزوج أخوه امرأته ولم ينجب ولداً . وحدث مثل ذلك لجميع من بقى من الإخوة . فلأى أخ من هؤلاء الإخوة تكون هذه المرأة يوم القيامة . فقال لهم يسوع إنكم لتضلون وتجهلون أسفاركم وتشكون فى قدرة الله . ألم تعلموا أن الناس فى الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة الله فى السماء ؟ ! والعجب لكم كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنكم تقرءون فى كتبكم أن الله قد قال أنا إلاه إبراهيم وإسحق ويعقوب ؛ والله تعالى إلاه للأحياء ولا يصح أن يكون إلاها للأموات . فلما سمعوا منه ذلك بهتوا من حجته ، وسر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين » .

ويذكر العلامة ابن حزم أن هذه الفرقة تنسب إلى رجل يسمى صدوق Sadoc وكانت تقول إن العزيز ابن الله[8] وهو من تسميه أسفار اليهود عزرا Esdras . ولعل هذه الفرقة هى التى يعنيها القرآن الكريم إذا يقول « وقالت اليهود عزير ابن الله »[9] .

وتمتاز كذلك هذه الفرقة بحرصها على إقامة علاقات ودية مع الشعوب الأخرى ، بينما كانت فرقة الفريسيين تنظر إلى غير الإسرائيلى نظرتها إلى

---

(٨) ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الأول ص ٨٢.
(٩)آية ٣٠ من سورة التوبة.

عدو ، بل كانت تنظر هذه النظرة إلى غير أفراد نحلتها من اليهود أنفسهم[١٠] .

ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين ، ومع اتجاهها الودى نحو الشعوب الأخرى ، فإنها كانت لا تقل عن فرقة الفريسيين فى مبلغ عداوتها للمسيح والكيد له وتعويق رسالته .

وكانت هذه الفرقة أقل كثيرا فى أتباعها من فرقة الفريسيين ، بل إن الأغلبية الساحقة من اليهود كانوا ينفرون من تعاليمها ويناجزونها العداء .

---

(١٠) ولعل فرقة الصدوقيين هى التى يقول فيها القرآن الكريم «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك» ولعل فرقة الفريسيين هى التى يقول فيها عقب ذلك «ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» (آية ٧٥ من سورة آل عمران) . والأميون نسبة إلى الأمم ، وكان الإسرائيليون يطلقون هذا اللقب على غير بنى إسرائيل ، وقد وردت تسميتهم بذلك فى كثير من أسفار العهد القديم .

— ٤ —

فرقة السامرية (١١)

تختلف هذه الفرقة عن الفرقتين السابقتين بأنها لا تؤمن إلا بالأسفار الخمسة التى تمثل القسم الأول من « العهد القديم » وسفر يوشع وسفر القضاة (١٢) ، وتنكر بقية أسفار العهد القديم وأسفار التلمود . ونصوص الأسفار المعتمدة لديهم تختلف فى كثير من المواضع عن النصوص المشهورة لهذه الأسفار وهى النصوص المعتمدة عند غيرهم . وهم مثل الصدوقيين لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر .

وذكر ابن حزم أنهم « يبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام ، **فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان وأشعياء واليسع و إلياس وعاموص وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم** ، وأنهم يقولون إن مدينة القدس هى نابلس ، وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه . وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها » (١٣) .

---

(١١) لعلهم سموا بذلك لأن نحلتهم قد ظهرت فى اقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين. وكانت كلمة السامريين تطلق كذلك على جماعة من غير بنى اسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالاسرائيليين. وكان الاسرائيليون ينظرون الى أفرادها على أنهم أحط منهم قدرا ومنزلة.

(١٢) انظر الفصل الأول من الباب الأول (صفحة ٩ وتوابعها إلى آخر ص ١٣) .

(١٣) ص ٨٢ من الجزء الاول من كتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم.

— ٥ —

فرقة الحسدين

Esseeniens (١٤)

ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد . وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا فى عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها .

فمن أهم ما تمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرابين ، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، وقد خصص لها قسم كبير من سفر من أسفار توراتهم المزعومة وهو سفر اللاويين كما تقدم بيان ذلك.(١٥) ومن مميزاتها فى العبادات كذلك أنه يكثر فى شعائرها مناسبات الغسل والوضوء .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس فى القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب .

---

(١٤) كلمة الحسدين مأخوذة من كلمة حسديم بمعنى المشفقين (الياء والميم علامة الجمع فى العبرية) – وقد وصلت الينا أخبار هذه الفرقة بفضل ما كتبه عنها فيلون (فيلسوف يونانى من أصل يهودى، ولذلك اشتهر باسم فيلون اليهودى، ولد حوالى ٢٠ قم)، وما كتبه عنها المؤرخ اليهودى يوسيفيس. وقد اشار كذلك الى هذه الفرقة مشيدا ببعض نظرياتها العلامة مونتسكيو فى كتابه روح القوانين: انظر

Montesqieu: de 1 Esprit des Lois' T. 1' P. 106

(١٥) انظر ص ١١ .

فمن مبادئها العمل على إلغاء الحروب ، وأن يعيش العالم فى سلام دائم ، ومجانبة الإضرار بالخلق وعدم إيذاء أى إنسان حتى لو كان ذلك لتربيته وتعويده الامتثال والطاعة ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء فى ذلك الإسرائيليون منهم وغير الإسرائيليين ، وتحريم طرائق الكسب غير السليم وابتزار الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء فى التعامل مع اليهود أو غير اليهود . وهذا على عكس **كثير من الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على التفرقة العنصرية وتبيح لأفرادها فى علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهود مالا تبيحه فى علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض كما تقدم بيان ذلك**[١٦] .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بمبادىء الحرية أنها تحرم نظام الرق ، وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان ، وأن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على الرق ، وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم ، كما سيأتى بيان ذلك فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى ، وعاشوا جماعات حول شاطئ البحر الميت . فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية ، وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا

---

(١٦) انظر صفحات ٥٣ – ٥٥ .

جماعيا شائعا يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة فى مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه . وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها فى كل قرية من قراهم مفتحة الأبواب لكل رفيق من جماعتهم ، سواء أكان من أهل القرية أم قادم من خارجها . ومن ثم يعتبر مذهب هذه الفرقة فى شئون الاقتصاد من أقدم المذاهب الشيوعية فى العالم ، ويعتبر أتباعها من أقدم المجتمعات الإنسانية التى أخذت بهذا المذهب وطبقته فى حياتها بالفعل . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تجيز الملكية الفردية الخاصة وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير فى أسفارهم كما سيأتى بيان ذلك فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالشئون المهنية أنها تحرم الاشتغال بالتجارة لما تبعثه فى النفوس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس ، كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التى تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم ، وهو أن يعيش الناس فى سلام دائم ، وتحرم كذلك استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لما يبعثانه فى النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح . ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة وما يحتاج إليه ويتصل بها من صناعات – وهى فى ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الاقتصادى لهذه الفرق شئون التجارة

وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل ، لأن كليهما ، على حد تعبيرهم « يطفئ نور الله ، وينتقص ظله فى أرضه ويبعد رحمته عن إسرائيل » . بل لقد رأى بعض فقهائهم أن من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج (١٧) .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم ، وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور ، وتحرم شرب الخمور وأكل اللحوم وتوجب الاقتصار على الأغذية النباتية (١٨) .

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف فى معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود . — والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس ، لأن أفرادها كانوا من بنى إسرائيل .

---

(١٧) نظر فى ذلك كتابنا «قصة الزواج والعزوبة فى العالم» ص ٥ ، ٦ ، ٥٥ .

(١٨) V. L. G. Rylands: Evolution of Christianity P. 55 et suiv

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا ، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى ، أى أنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان (وهو سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام) كان من هذه الفرقة ؛ ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأى بين يديه دليلا يعتد به .

- ٦ -

فرقة القرائين أو العنانيين

والممهدون لها وما انشعب عنها من طوائف وما حدث بينها وبين الربانيين من خلاف وخصومات

هى أحدث الفرق اليهودية جميعها . فقد أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود فى بغداد فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد ، فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (كانت خلافته من سنة ٧٥٤ إلى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد) ، أى بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرناً . ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء فى العهد القديم وحده ، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات . ومن ثم أطلق على فرقتهم اسم « العنانيين » نسبة إلى منشئها عنان بن داود ، واسم « القرائين » نسبة إلى « مقرا » بمعنى الكتاب أو المكتوب L' Ecriture وهى الكلمة التى كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم[١٩] ؛ فمعنى القرائين المتمسكون بالكتاب وحده أى أسفار العهد القديم وحدها . — ولا يزال لهذه الفرقة أتباع كثيرون من اليهود فى مختلف البلاد فى العصر الحاضر.

والتمسك بما جاء فى العهد القديم وحده أو بما جاء فى بعض أسفاره وحدها ورفض ما عدا ذلك ليس جديداً كل الجدة فى تاريخ الفرق

(١٩) وأما كلمة «العهد القديم» فهى تسمية أطلقت على كتب اليهود فى العصور المسيحية للتفرقة بينها وبين اعتمده المسيحيون من اسفارهم التى أطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» .

اليهودية ، فقد أخذت به من قبل ظهور القرائين بأمد طويل فرق يهودية قديمة منقرضة كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . – ومن ثم يعد مذهب القرائين فى كثير من عناصره مجرد إحياء لمذاهب هذه الفرق .

وقد ألغى عنان جميع التشريعات التى قررها الربانيون مستندين فى تقريرها إلى أسفار التلمود ، وأدخل على كثير من تشريعاتهم التى استمدوها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدها هو من اجتهاده الخاص ومن فهمه لنصوص هذا العهد . فقد انفرد فى استنباط الأحكام من هذه النصوص بآراء كثيرة ذكر طائفة منها فى كتابه الذى ألفه فى تفسير التوراة (كتب موسى ، وهى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم : أسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين) . – غير أنه قد تجاوز أحياناً هذا النطاق ، فقرر أحكاماً تتعارض مع نصوص صريحة لأسفار العهد القديم .

ومن أهم التشريعات التى خالف فيها الأحكام المقررة عند الربانيين معتمداً على اجتهاده الخاص فى فهم النصوص أنه حرم زواج العم من ابنة أخيه وزواج الخال من ابنة أخته . ومن أهم التشريعات التى خالف فيها نصوصاً صريحة من التوراة أنه سوى بين الابن والبنت فى الميراث وقرر أن الزوج لا حق له فى تركة امرأته [٢٠] .

وقد مهد لظهور فرقة القرائين بعض حركات إصلاحية دينية حدثت قبيل ظهورها وإن كان أصحابها لم يكتب لهم النجاح فيما دعوا إليه . ومن

---

(٢٠) انظر القواعد التى كان يسير عليها الميراث عند اليهود فى الفقرة الخامسة من القسم الثانى

أهم هذه الإصلاحات ما نادى به سيرينوس وما نادى به عبوديا بن عيسى

أما سيرينوس فهو يهودى من أهل سوريا نادى بإصلاحاته حوالى سنة ٧٢٠ ميلادية ، وجعل شعاره : « اتركوا تعاليم التلمود » وتبعه ناس كثيرون ، فعظم شأنه ، وامتلأ زهوا ، حتى لقد أعلن أنه المسيح المنتظر ، وكادت تحدث من جراء ذلك فتنة كبيرة فى العالمين اليهودى والإسلامى كليهما ، فقبض عليه وقدم إلى الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك(كانت خلافته من سنة ٧٢٠ إلى سنة ٧٢٤ ميلادية) فرأى الخليفة ، حسما للفتنة. أن يسلمه إلى اليهود أنفسهم ليتولوا محاكمته . وانتهى بذلك أمره .

وأما عوبديا بن عيسى فهو يهودى من أصفهان نادى بإصلاحاته حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية ، واتخذ الشعار نفسه الذى اتخذه سيرينوس ، وهو عدم الاعتراف بالتلمود ، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية المستمدة من التوراة نفسها ، فألغى الطلاق ، وجعل فرائض الصلاة أربعة بدلا من ثلاثة فى اليوم ، وحرم أكل اللحوم وشرب الخمور . — وقد أشار العلامة ابن حزم إلى هذه النحلة ، وذكر أن أصحابها يقرون بنبوة عيسى ونبوة محمد عليهما السلام . وذلك إذ يقول : « والعيسوية هم أصحاب أبى عيسى الأصفهانى رجل من اليهود كان بأصفهان . وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى . وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد ﷺ . ويقولون إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى إسرائيل على ما جاء فى الإنجيل وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل . ويقولون أن محمدا ﷺ بنى أرسله الله تعالى

بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل وإلى سائر العرب . كما كان أيوب نبيا فى بنى عيص وكما كان بلعام نبيا فى بنى مؤاب بإقرار من جميع فرق اليهود »[٢١] .

وقد حاول عبودياً هذا هو وأنصاره استخدام القوة فى فرض آرائهم على طوائف اليهود ، فأخفقوا فى محاولاتهم ، ومنوا بعدة هزائم منكرة وانتهى بذلك أمرهم .

* * *

وقد نجح عنان فيما أخفقت فيه هذه الطوائف من قبل . ولكنه فتح باب الاجتهاد فى فهم النصوص المقدسة ، وسمح لكل قادر على ذلك أن ينشئ له مذهباً فرعيا خاصا فى نطاق الأصول العامة التى قام عليها مذهبه ، فترتب على ذلك أن حدث الانقسام فى فرقة القرائين نفسها ، وانشعبت منها طوائف كثيرة من أشهرها طائفة بنيامين بن موسى وطائفة الأكبرية .

أما بنيامين بن موسى فهو فارسى من نهاوند ، نادى بتعاليمه فى أوائل القرن التاسع الميلادى . وهى فى جملتها مستمدة من تعاليم عنان ، مع بعض آراء تأثر فيها بمذاهب المعتزلة وفلاسفة الإسلام ، وخاصة الفارابى وابن سينا . ومن أهم ما ذهب إليه فى شئون العقيدة أنه أنكر ما يوهمه ظاهر العهد القديم إذ يصور الذات العلية فى صورة مجسمة تشبه صور الحوادث ، وإذ يقرر أن الله تجلى لموسى فى سيناء وكلمه ، لما ينطوى عليه ذلك من حلول الله فى المكان وإخراجه للصوت ، وأنكر أن يكون الله قد

---

(٢١) ص ٨٢ من الجزء الأول من كتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم.

تولى عملية الخلق فى صورة مباشرة ، لما ينطوى عليه ذلك من التغير والحركة ومن اتصال الله بالمادة ، وذهب إلى أن الله خلق الملائكة ، وهم كائنات روحية غير مادية ، وهذه الكائنات هى التى خلقت العالم المادى . وهنا يبدو التأثر بمذهب الفارابى فى نظرية« العقول » التى انبثقت عن الله تعالى كما ينبثق الضوء من الشمس ، وتولت لاشراف على خلق الكائنات السماوية والأرضية وعلى مختلف شئونها (٢٢) .

وقد انضم إلى نحلة بنيامين بن موسى عدد كبير من القرائين ، فعظمت مكانته ، وبلغ فى نفوس أتباعه منزلة تقرب من منزلة عنان بن داود المنشئ الأول لفرقة القرائين .

وأما فرقة الأكبرية فقد أنشأها عالمان يهوديان من مدينة« أكبر » بالقرب من بغداد ، حوالى سنة ٨٤٠م ، وهما موسى وإسماعيل الأكبريان . وأهم ماتمتاز به هذه الفرقة عن بقية فرق القرائين أنها لا تؤمن إلا بأسفار موسى الخمسة(أسفار التكوين والخروج والتثنية واللاويين والعدد) ولا تعترف ببقية أسفار العهد القديم . ومذهبها هذا يعد فى جملته إحياءا لمذهب السامرية الذى تكلمنا عليه فيما سبق(٢٣)

هذا ، وقد تفاقم الخلاف بين القرائين والربانيين ، وهما الفرقتان اليهوديتان الباقيتان إلى العهد الحاضر ، وشنت كلتا الطائفتين حربا عنيفة

---

(٢٢) انظر تفصيل هذه النظرية فى كتابنا «فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى» صفحات ٤٠ –٤٢ الطبعة الثانية.

(٢٣) انظر ص ٩٥ .

على الطائفة الأخرى ، فحكمت كلتاهما على الأخرى بالكفر ، واستقلت كلتاهما بمعابد خاصة لا يسمح بدخولها لغير أتباعها .

ويروى لنا التاريخ كثيرا من الخصومات العنيفة التى حدثت بين هاتين الطائفتين فى كثير من البلاد التى كان يوجد فيها أتباع لكلتيهما . ومن أشهر هذه الخصومات ما حدث بينهما فى مصر أيام الملك الفاطمى الظاهر ابن الحاكم بأمر الله (تولى الخلافة الفاطمية من ٤١٢ – ٤٢٧ هـ ، ١٠٢٠ إلى ١٠٣٥ م) . وكان سبب هذه الخصومة أن المشرف اليهودى على قصابى اليهود كان من طائفة الربانيين . وللقرائين فى شئون الذبائح مذهب يختلف عن مذهب الربانيين . فهم يحرمون ذبح أنثى الحيوان فى أثناء حملها بينما يجيز ذلك الربانيون ؛ وهم يحرمون أكل أجزاء خاصة من الحيوان يحلها الربانيون . فحدث من جراء ذلك احتكاكات عنيفة بين الطائفتين . وطلب القراءون أن يسمح لهم بحوانيت خاصة للحوم الأنعام والطيور تخضع لتفتيشهم هم ولا تخضع لتفتيش محتسب الربانيين ، وأن يسمح لهم بفتح حوانيتهم فى أعياد الربانيين التى لا يعترفون هم بمواقيتها (فلكل فرقة تقويمها الخاص ، ومن ثم اختلفت مواقيت الأعياد عند كلتيهما) . وقد استجاب الخليفة الظاهر لمطالب القرائين ، وأصدر مرسوما فى ١١ من جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ ١٠٢٤ ميلادية هذا نصه :

« من تتبع عاداتكم ، واستمراركم فى تقاليدكم التى أخذتموها عن دياناتكم بدون عائق يقوم من طائفة ضد الأخرى أو قيام معاملة خشنة بينكما ، فهذا يدعو إلى السماح لكل طائفة بأن تعيش وتعبد كما تهوى ، مع

تمكين كل طائفة فى بيع أو شراء ما تشتهى ، وأن تحتفل بعيدها كما تريد ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق إرادتها . وأحذر الطائفتين من التدخل فى شئون بعضهما أو إحداث شغب أو مضايقة بعضهما . إن الأمان مكفول لكم جميعاً . وعليكم عدم تمكن شرير بينكم من الاتيان بشئ ممنوع . وعليكم تجنب المناقشات التى تؤدى إلى سوء العاقبة . وعليكم المحافظة على ذلك . والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتى بأعمال محرمة . فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره حتى لا يحتذية أحد . كذلك يحرم التدخل فى شئون طائفة القرائين فى معابدهم الخاصة بهم وحدهم » .

« وهذا الأمر صادر من أمير المؤمنين . فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه . وعلى أمير الجيوش –ساعده الله– أن يساعد على تنفيذه ، وعلى رؤساء الأقاليم العناية العادلة بالطائفتين ، وعلى الحكام إصدار الأوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على أفراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم » .

« ليحترم هذا الأمر بواسطة الذين كتب لهم إن شاء الله » .

« حرر فى يوم الأربعاء ١١ جمادى الأول عام ٤١٥ هجرية » .

* * *

ومن هذا يظهر مبلغ سماحة الإسلام وسماحة الحكومات الإسلامية فى معاملة أهل الديانات الأخرى وتذليل الفرص لأتباعها فى مزاولة عباداتهم وأداء شعائرهم . وهذه أظهر سمة من سمات الكمال لديننا الإسلامى القويم .



القسم الثانى

تاريخ بنى إسرائيل
ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى

- ١ -

نظرة مجملة فى تاريخ بنى إسرائيل

هاجر يعقوب(الملقب بإسرائيل) حوالى القرن السابع عشر ق.م هو وأولاده وحفدته من بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) إلى مصر ، على أثر ما حاق بموطنهم القديم من مجاعة وما أصاب مراعيها من جفاف[١] وكان عدهم سبعين نفساً بحسب ما تذكره أسفارهم[٢] . وكان الوزير الأول بمصر هو يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب نفسه . فأكرم مثوى أبيه وإخوته ، وعطَّف عليهم قلب فرعون ملك مصر حينئذ ، وأقطعهم بأمره أرضا فى أخصب البقاع[٣] . وانقسم بنو إسرائيل فى هذه الفترة اثنتى عشرة قبيلة تنحدر كل قبيلة منها من ولد من أولاد يعقوب الاثنى عشر ، وهم الذين يعبر عنهم فى القرآن بالأسباط . ومن هؤلاء قبيلة لاوى (أوليفى) التى عهد إليها فيما بعد بالإشراف على الشئون الدينية ، وكان منها موسى وهارون ومريم البتول وعيسى .. وظلت سلالات بنى إسرائيل فى مصر حينا من الدهر تنعم بكرم المصريين ورعايتهم وتقديرهم لجهودهم وكفاياتهم ، حتى لقد وصل كثير منهم إلى أعلى الدرجات

---

(١) سفر التكوين ، اصحاح ٤٧ فقرة ٤ .

(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٤٦ ، فقرة ٢٧ .

(٣) سفر التكوين ، اصحاح ٤٧ فقرة ١١ .

والمناصب[٤] . ثم تغير موقف المصريين منهم فيما بعد إلى نقيض ما كان عليه ، لخشيتهم من تكاثر عددهم الذى زاد على عدد المصريين أنفسهم ومن استفحال نفوذهم فى البلاد[٥] ؛ فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم ، يسومونهم سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويتخذون منهم خدما وعبيداً ، ويسخرونهم فى أشق الأعمال[٦] . وبقى بنو إسرائيل أمداً طويلا يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ، وتنوشهم معاول الإبادة حتى أرسل الله إليهم وإلى فرعون وقومه رسولين إسرائيليين من نسل لاوى (ليفىLevi) أحد أبناء يعقوب ، هما موسى وأخوه هرون عليهما السلام ، يبلغانهم رسالة التوحيد ، ويدعوانهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ماهم عليه من عبادة الأوثان والكواكب والحيوان والنبات والملوك وأرواح الموتى ، ويقدمان لهم شريعة سماوية سمحة ، هى الديانة اليهودية ، تفصل ما ينبغى أن يكونوا عليه فى شئون دينهم ودنياهم،فآمن بها بنو إسرائيل ؛ وكذب بها فرعون وقومه إلا قليلا منهم . وظل موسى وهرون وقومهما بنو إسرائيل بعد ذلك فى مشادات مع فرعون وقومه حتى أتيح لهم الخروج من مصر إلى صحراء سينا فى قصة مشهورة ذكرت وقائعها فى كثير من سور القرآن الكريم ، وتحدث عنها بتفصيل « سفر الخروج » وهو أحد أسفار العهد القديم[٧] . وقد قضى بنو

(٤) انظر فى هجرة يعقوب وأولاده الى مصر سورة يوسف من القرآن الكريم وسفر التكوين من اصحاح ٤٦ الى آخر السفر.

(٥) سفر الخروج ، الاصحاح الأول ، فقرة ٩ .

(٦) انظر فى ذلك القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٤٩ ، والاصحاح الاول من سفر الخرج .

(٧) انظر فى ذلك آيتى ٤٩ ، ٥٠ من سورة البقرة و ٧٧ — ٨٠ من سورة طه ، واصحاحى ١٣ ، ١٤ من سفر الخروج .

إسرائيل فى مصر أربعمائة وثلاثين سنة بحسب ما يذكره سفر الخروج (إصحاح ١٢ . فقرة ٤٠) . وكان إرسال موسى إليهم حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ق.م .

وقد استحال بنو إسرائيل فى أثناء الفترة التالية لخروجهم من مصر حتى استقرارهم فى أرض كنعان ، وتبلغ حوالى أربعين سنة ، إلى قبائل من البدو الرحل ، يضربون فى صحراء سينا والمناطق المتاخمة لها ، متنقلين فى أرجائها ، « تائهين » حسب تعبير القرآن الكريم فى دروبها وفيافيها [٨] . وكان موسى قد طلب إليهم دخول أرض فلسطين وقتال أهلها ، ووعدهم بالنصر ، فتقاعسوا عن ذلك جبنا وخورا ، فكتب الله عليهم هذا التيه ، حتى يفنى هذا الجيل الجبان ، وينشأ جيل آخر ربى على التخشن . وتمرس بشئون القتال [٩] .

وفى أثناء هذه الفترة توفى هرون ثم موسى عليهما السلام ، ولكن بعد أن أكمل الله لبنى إسرائيل دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، وبعد أن تلقى موسى من ربه التوراة « فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذى أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » [١٠] . وقد استوعبت جميع تفاصيل هذه الديانة عقائدها

---

(٨) انظر آية ٢٦ من سورة المائدة : « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » والضمير فى « انها » يعود على أرض كنعان التى تقاعسوا عن دخولها وقتال أهلها خوفا منهم .

(٩) انظر التصوير الرائع للحوار الذى جرى بين موسى وقومه اذ يستحثهم على دخول أرض فلسطين ، وهم يتقاعسون عنها خوفا من أهلها فى آيات ٢٠ - ٢٦ من سورة المائدة .

(١٠) آية ٤٤ من سورة المائدة : « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور . . . الآية » .

وشرائعها وأخلاقها وقصصها : « وكتبنا له (أى لموسى) فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ »(١١)

وحوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار بنو إسرائيل بقيادة يوشع Josué خليفة موسى بعد وفاته على بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) واحتلوها واستولوا على جميع ما فيها من خيرات وثروات ، بعد أن أبادوا معظم أهلها ، واستعبدوا من أبقوا عليه منهم . فانتهت بذلك لديهم حياة الخشونة والبداوة والتنقل ، وافتتحوا عهد الحضارة والدعة والاستقرار ، وسكنوا المدن والقرى والمنازل والقصور التى ورثوها من الكنعانيين . وأخذت مزاولتهم لشئون دينهم تسير على طريق منظم تحت إشراف أحبارهم وفقهائهم وسدنة مساجدهم ومذابحهم ؛ وكان معظم هؤلاء يتألفون من نسل لاوى أحد أبناء يعقوب ، وهم رهط موسى وهارون(١٢) . وأما رؤساؤهم السياسيون فكانوا فى صدر هذه المدة من القضاة(١٣) ، ثم لما اتسع نفوذ بنى إسرائل أصبح رؤساؤهم السياسيون

(١١) آية ١٤٥ من سورة الأعراف .

(١٢) انظر سفر اللاويين من اسفار العهد القديم .

(١٣) انظر سفر القضاة من أسفار العهد القديم . وكان آخر قضاتهم صموئيل . وهو الذى عين طالوت Saul بوحى من الله ملكا على بنى إسرائيل (حوالى القرن الحادى عشر ق.م) ليتولى قيادتهم ضد الفينيقيين ، وقد كتب لهم النصر عليهم ، وكان ذلك بفضل داود الذى قتل جالوت Goliath طاغية الفينيقيين . وقد تولى داود الملك بعد طالوت (١٠٠٠ – ٩٧٤ ق.م) ، ثم تولى سليمان الملك بعد أبيه داود (٩٧٤ – ٩٣٤ ق.م) وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة فى آيات ٢٤٦ – ٢٥١ من سورة البقرة .

ملوكا ذوى سلطان كبير[١٤] ، ومنهم داود وسليمان عليهما السلام[١٥] . وانقسمت مملكتهم بعد وفاة سليمان إلى مملكتين : مملكة إسرائيل ؛ ومملكه يهوذا Juda ، ونشبت بين المملكتين حروب أهلية كثيرة .

وفى سنتى ٥٩٦ ، ٥٨٧ قبل الميلاد أغار بختنصر Nabuchonosor ملك بابل على فلسطين ، فأزال ملك بنى إسرائيل ، وأسر منهم عدداً كبيراً وأجلاهم إلى بابل(ومن ثم اشتهر ذلك فى التاريخ باسم نفى بابل) حيث ظلوا فى الأسر زهاء خمسين سنة حتى تغلب كورش Curus ملك الفرس على البابليين عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، فأطلق سراح اليهود ، ورجع كثير منهم إلى فلسطين ، واستعادوا بعض أوضاع حياتهم الأولى . ولكنهم فقدوا استقلالهم ، ولم ينعموا به بعد ذلك إلا فترات قصيرة . فوقعوا أولا تحت سيطرة الفرس ، وظلوا كذلك زهاء قرنين كاملين . ثم وقعوا تحت سيطرة المقدونيين خلفاء الاسكندر الأكبر ، ثم تحت سيطرة الرومان .

وفى سنة ١٣٥ بعد الميلاد أخمد الرومان ، فى عهد الإمبراطور هادريان Hadrien ثورة قام بها اليهود فى فلسطين(من سنة ١٣٠ إلى سنة ١٣٥ بعد الميلاد) ، واستخدموا فى إخمادها أعنف وسائل البطش ، فدمروا بلادهم ، وهدموا هيكلهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مشتتين هائمين على وجوههم فى مختلف بقاع الأرض حتى يومنا هذا .

---

(١٤) انظر سفرى الملوك من العهد القديم .

(١٥) انظر آيات ٢٤٦ - ٢٥١ من سورة البقرة ، وآيات ١٥ - ٤٤ من سورة النحل ، وآيات ١٧ - ٤٠ من سورة ص .

« وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله »[16] . وذلك على الرغم من إنشاء دولتهم المزعومة ومن هجرة شرذمة من أفاقيهم إلى بلادها[17] .

وإلى إجلاء بنى إسرائيل من بلادهم فى هاتين المرتين يشير القرآن الكريم إذ يقول : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة(أى وعد المرة

---

(١٦) آية ٦١ من سورة البقرة .

(١٧) لم ينفك الرومان ، منذ استيلائهم على فلسطين ، يسومون اليهود سوء العذاب . فحينما حطمت القوات الرومانية معابدهم فى فلسطين سحبوهم أسرى فى شوارع روما يدفع شبانهم العربات ، ويحملون الأحجار ، ويتساقطون فى الطرقات ، ويعطونهم الرماح والسيوف يتقاتلون بها ويقتل بعضهم بعضا لتنعم القوات الرومانية بهذه المناظر ، ويطلقون عليهم الوحوش ، ويأتون بكبارهم من المحاربين ومن رجال الدين ويعلقون الأحجار فى أعناقهم ثم يلقون بهم فى الآبار ويدفنونهم أحياء .

وحينما هدم الرومان معبد سليمان فى القدس حملوا أخشاب المعبد ومناضده الذهبية وصفحات من التوراة وحملوا اليهود إلى روما مرة أخرى وأحرقوهم فى الزيت المغلى .

وفى سنة ٦٧م أرسل الامبراطور نيرون Neron قائده فاسبازيان إلى القدس فقتل من اليهود آلافا حرقا وصلبا ، وساعده على ذلك ودله على مخابئ اليهود واحد منهم هو المؤرخ اليهودى الشهير يوسيفوس (فيلافيوس يوسيفوس المولود سنة ٣٧ ميلاديه والمتوفى سنة ٩٥) . ولما مات الامبرطور نيرون وأصبح القائد فاسبازيان امبرطورا أرسل ابنه يتيوس إلى القدس وأوصاه ألا يبقى على أحد من اليهود . ولما تحصن اليهود فى قلعة ماسادا هدمها عليهم ، (انظر فى ذلك مقالا طريفا لأنيس منصور فى عدد ١٣ ١١ ٧٣ من جريدة «أخبار اليوم» .

الآخرة وهو الجلاء الثانى) ليسؤوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا »[١٨] .

وقد تنكب بنوا إسرائيل الصراط المستقيم ، وخرجوا على تعاليم دينهم وعقائده فى عهد موسى نفسه ومن بعده ، حتى لقد عبدوا العجل وهرون بين ظهرانيهم وموسى يتلقى الألواح من ربه كما تقدم بيان ذلك[١٩] .

وبعث الله فيهم من بعد موسى وهرون عدة رسل وأنبياء يهدونهم سواء السبيل ، ويحاولون إنقاذهم مما تردوا فيه من كفر وضلال ، فما كانوا يلاقون منهم إلا الإعراض والتكذيب ، بل كانوا يلاقون منهم أحيانا التعذيب والتقتيل .

وفى هذا يخاطبهم القرآن الكريم إذ يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون[٢٠] » ، ويقول « ... ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ؛ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[٢١] » .

ويقول مبينا تكذيبهم للقرآن الكريم ولأسفارهم نفسها وتمردهم على

---

(١٨) آيات ٢ – ٥ من سورة الإسراء .

(١٩) انظر الفصل الأول من الباب الثانى .

(٢٠) آية ٨٧ من سورة البقرة .

(٢١) آية ٦١ من سورة البقرة .

موسى والأنبياء من بعده : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين؟ ! ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ؛ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ؛ قالوا سمعنا وعصينا ؛ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ؛ قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين[٢٢] » ويقول مبينا ما انتهت إليه أوضاعهم نتيجة عصيانهم وكفرهم بآيات الله ونعمة : « ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانو يعتدون »[٢٣] .

---

(٢٢) آيات ٩١ – ٩٣ من سورة البقرة .

(٢٣) آية ٦١ من سورة البقرة .

— ٢ —

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبنى إسرائيل فى مصر

ليست لدينا مصادر يعتد بها عن تاريخهم فى هذه المرحلة السحيقة التى يرجح الباحثون أنها كانت سابقة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، إلا ما ورد بشأنها فى الكتب المقدسة . وهذه الكتب لا تذكر شيئاً مفصلا عن أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، وإن كان يستخلص مما أجملته فى هذا الصدد أنهم كانوا فى هذا كله خاضعين لما تقرره شريعة البلاد ؛ وأنه لم يكن لهم نظام مستقل متميز عن النظام العام فى شئون الاجتماع ، وأنه كانت لهم ملكيات كثيرة هامة فى المرحلة الأولى من مقامهم فى مصر ، بدليل ما يحدثنا عنه سفر التكوين من أن يوسف قد أعطى أباه وإخوته بأمر فرعون ملكا فى أحسن منطقة فى البلاد وهى منطقة رمسيس (٢٤) ، وأنهم لم يحرموا قط من حق الملكية حتى فى مرحلة اضطهادهم نفسها ، بدليل ما يحدثنا عنه العهد القديم من أنهم قد حملوا معهم وساقوا أمامهم عند خروجهم من مصر ما كانوا يملكونه من متاع وأنعام ، وأن أنعامهم هذه كان يتألف منها حينئذ قطعان ضخمة غزيرة العدد من الأغنام

---

(٢٤) فقرة ١١ من اصحاح ٤٧ من سفر التكوين .

والأبقار[٢٥] ، هذا إلى ما حملوه معهم مما أهداه إليهم المصريون من الأقمشة والملابس وأواني الذهب والفضة[٢٦] ، وأن المهنة التي كان يزاولها دهماؤهم كانت مهنة الرعي ، وهي المهنة نفسها التي كان يزاولها يعقوب وبنوه قبل هجرتهم إلى مصر[٢٧] ، وأن أهم مظاهر ثروتهم كانت تتمثل إذن في الأنعام ؛ وأن ثرواتهم جميعها كانت ثروات عائلية لا فردية ؛ فالأسرة لا أفرادها هي التي كانت تملك ما تنسب إليها ملكيته من أنعام ومتاع .

---

(٢٥) فقرتي ٣٢ ، ٣٨ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٢٦) فقرتي ٣٥ ، ٣٦ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٢٧) فقرة ٣١ وما بعدها إلى آخر فقرات الاصحاح ٤٦ ، وفقرات ١ — ٥ من اصحاح ٤٧ من سفر التكوين .

– ٣ –

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل استقرارهم فى أرض كنعان

كانت المهنة السائدة لديهم فى أثناء هذه المرحلة هى مهنة الرعى ، كما كان شأن آبائهم الأولين قبل هجرتهم إلى مصر[٢٨] ، بل كما كان شأن معظمهم فى أثناء مقامهم بمصر كما سبق بيان ذلك . فأهم مظاهر ثروتهم كانت تبدو إذن فى أمرين : أحدهما قطعان الأنعام ؛ وثانيهما ما يلزم لتربيتها من مراع ومياه .

١ – أما الأنعام فكانت عماد الحياة لبنى اسرائيل فى هذا العهد : فمن لحومها وألبانها كانوا يتخذون غذاءهم ؛ ومن أصوافها وأشعارها وجلودها كانوا يتخذون ملابسهم وأثاثهم ومساكنهم نفسها ؛ فقد كانت بيوتهم فى هذا العهد خياما من الشعر . ولذلك كان يتمثل فى الأنعام حينئذ أهم مظاهر الثروة لديهم ، حتى إن أسفار العهد القديم لتقيس مبلغ الغنى بما يمتلك من رءوس الأنعام ، وحتى إن المنازعات بين الناس كانت تدور

---

(٢٨) فقرات ٣٢ – ٣٤ من اصحاح ٤٦ وفقرات ١ – ٣ من اصحاح ٤٧ من سفر التكوين .

حول ملكية الأغنام والأبقار ، وتنبعث عن جشع كثير من الخلطاء وجنوحهم للبغى على خلطائهم فيما يملكونه من هذه الأنواع . فنى سفر صموئيل أن نابال Nabal كان رجلا واسع الثراء ، لأنه كان يملك ثلاثة آلاف نعجة وألف شاة (٢٩) . ويعطينا القرآن الكريم مثلا للمنازعات التى كان يكثر حدوثها بين بنى إسرائيل ويرفع أمرها إلى ملوكهم أنفسهم فى قصة الخصم « إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا تخف : خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ؛ وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ؛ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ماهم » (٣٠) .

ويدل ما ورد فى العهد القديم عن خروج بنى إسرائيل من مصر أن أكبر أمنية لهم فى أواخر مقامهم فى هذه البلاد أن يمكنوا من الخروج منها مع ما كانوا يملكونه من أغنام وأبقار ، وأن فرعون عندما سمح لهم بالخروج كانت

---

(٢٩) فقرة ٢ من اصحاح ٢٥ من السفر الأول لصموئيل – ونابال هذا كان فى عهد لاحق بمدة طويلة للمرحلة التى نتحدث عنها . ولكننا نجد فى هذه الفقرة وما شاكلها شاهدا على مكانة الأنعام ودلالتها على الثراء لديهم فى مختلف العهود .

(٣٠) آيات ٢١ – ٢٥ من سورة ص . وقد عرضنا لهذه القصة بالتفصيل عند كلامنا على القصص فى أسفار اليهود (انظر صفحات ٧١ ٧٣) .

أول عبارة له تتضمن سماحه لهم بأن يسوقوا معهم أنعامهم[٣١] ، وأنهم خرجوا مزودين بثروات عظيمة تتمثل فى قطعان كبيرة العدد من الأنعام[٣٢]

ويبدو من عدة شواهد تاريخية أن ملكية الأنعام لديهم فى هذا العهد لم تكن ملكية جمعية واسعة النطاق ، أى تملكها القبيلة كلها ، ولا ملكية فردية خاصة أى يملكها الأفراد ، وإنما كانت وسطا بين المنزلتين ، فكانت ملكية أسرية ، أى إن كل أسرة كانت لها ملكيتها من الأنعام[٣٣] .

وهذا ضرب من الملكيات الجمعية ، ولكنها ملكية جمعية ضيقة النطاق . فالأسرة الإسرائيلية كانت أضيق خلية جمعية بعد القبيلة والعشيرة ، لأنها كانت محدودة النطاق فى عدد أفرادها لا تنتظم إلا الأب وزوجاته وأبناءه وأبناء أبنائه وبناته وبنات أبنائه مادمن فى منزل الأسرة ، أى قبل زواجهن وانتقالهن إلى منازل أزواجهن حيث كن ينتمين إلى أسرات هؤلاء . فالشخص الاعتبارى الذى يتألف من هؤلاء الأعضاء هو الذى كان يعتبر مالكا للأنعام فى نظر بنى إسرائيل[٣٤] .

---

(٣١) فقرة ٣٢ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٣٢) فقرة ٣٨ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٣٣) انظر سفرى الخروج والعدد .

(٣٤) انظر فى نطاق الاسرة الانسانية وتطورها عبر التاريخ كتابنا فى « الاسرة والمجتمع » صفحات ٦ – ١٦ من الطبعة السادسة .

٢ – وأما أراضى المراعى وآبار المياه فيظهر أن ملكيتها كانت جماعية واسعة النطاق ، أى إن كل قبيلة كان لها من هذه الأراضى وهذه الآبار قسم معلوم تنتفع به فى صورة شائعة عشائرها وأسراتها فى تربيةأنعامها .(٣٥)

وذلك أن القبيلة كانت تتألف عادة من عدة عشائر ، والعشيرة كانت تنتظم عدة أسرات(٣٦) .

وكان لهذا النوع من الملكية أهمية لا تقل عن أهمية النوع الأول إن لم تزد عنها .

فعلى المراعى وآبار المياه كانت تتوقف حياة أنعامهم بل حياتهم هم أنفسهم .

ولذلك يزخر تاريخ هذا العهد بالحوادث المتصلة باكتشاف الينابيع وشق الآبار والمنازعات العنيفة التى كانت تنشب بين القبائل من جرّاء

---

(٣٥) Adolf Lods: Israel... etc., PP. 232-233: Challay: Histoire de la Propriéte, PP. 38, 39.

(٣٦) ويظهر انه فى هذا العصر كان هناك عند بعض الشعوب المتصلة ببنى اسرائيل ، إن لم يكن عند بنى اسرائيل أنفسهم ، أبار عامة مباح الاستقاء منها لجميع الناس ، كما يستفاد من قصة القرآن الكريم لماء مدين واستقاء الناس منه وورود موسى له ومساعدته المرأتين فى سقى انعامهما : « ولما ورد ماء مدين » والضمير يعود على موسى « وجد عليه أمة من الناس يسقون . ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ؛ وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير . . » . (آيتى ٢٣ ، ٢٤ من سورة القصص) .

اختلافهم على أراضى المراعى والمياه ، وبمعاهدات الصلح التى كانت تبرم بينهم لتسوية هذه المنازعات[٣٧] .

* * *

غير أن ملكياتهم فى هذه المرحلة فى المراعى والآبار لم تكن ثابتة ولا دائمة فقد كانت المراعى عرضة للجفاف والآبار عرضة للنضوب، ومن ثم كانت القبيلة تنتقل فى داخل أملاكها من منطقة إلى منطقة حتى إذا لم تجد فى أملاكها جميعها ما يقيم أودها وأود أنعامها اضطرت إلى مغادرة أوطانها فى هجرة طويلة باحثة عن مراع وآبار جديدة تضع يدها عليها إن لم يكن قد سبق امتلاكها أو تنتزعها أحيانا بالقوة من ملاكها الأولين – وكان من الممكن بين عشية وضحاها أن يصبح الفقير غنيا واسع الثراء والغنى فقيرا مدقع الفقر . فقد تتعرض قبيلة أو عشيرة أو أسرة لغارة مفاجئة من أعدائها فتفقد جميع ما كانت تملكه من أرض وماشية ومتاع ؛ وقد يواتى الحظ قبيلة فقيرة أو عشيرة فقيرة فى غارة تشنها على معشر آخر غنى فتستولى على جميع ما كان يملكه .

وهذه المعارك والغارات كانت كثيرة الحدوث بين بنى إسرائيل وغيرهم من العشائر والشعوب التى كانت تسكن هذه المناطق معهم أو تجاورهم ، بل لقد كانت تحدث أحيانا بين عشائر وأسرات بنى إسرائيل نفسها بعضها مع بعض .

---

(٣٧) انظر أوائل هذه الفقرة .

هذا ، ولم تكن الفروق كبيرة فى هذا العهد بين ثروات القبائل ولا بين ثروات الأسرات ولا بين ثروات الأفراد . ولم يكن للثروة حينئذ سلطانها ولا آثارها الخطيرة التى تبدو فى أممنا . فجميع الناس كانوا سواسية تقريبا فى مآكلهم ومشاربهم وملابسهم وسائر شئونهم ، والحياة فى جملتها كانت خشنة ساذجة لا أثر فيها للترف ولا للنعيم ، والمحافظة على واجبات الضيافة والنجدة والإحسان وما إلى ذلك من الصفات التى كانت من أبرز مميزات الشعوب السامية جميعا ، وخاصة فى عهودها الأولى ، كانت تعمل من جانبها كذلك على تقليل الفروق بين الطبقات والأفراد .

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبنى إسرائيل

بعد استقرارهم فى أرض كنعان

ولكن الحال قد تغير تغيرا كبيرا حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، إذ أغار بنو إسرائيل بقيادة يوشع Josue′ خليفة موسى بعد وفاته على بلاد كنعان واحتلوها واستولوا على جميع ما كان فيها من خيرات وثروات ، بعد أن أبادوا معظم أهلها واستعبدوا من أبقوا عليه منهم ، تنفيذا لوصايا توراتهم إذ تقول : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فجميع أفراد شعبها يكون مسخرين ومستعبدين لك ، وإن لم تسالمك فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلاهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فتغتنمها لنفسك[٣٨] .

فانتهت لديهم بذلك حياة الخشونة والبداوة والتنقل ، وافتتحوا عهد الدعة والحضارة والاستقرار ، وسكنوا المدن والقرى والمنازل والقصور التى ورثوها عن الكنعانيين ، وصدف معظمهم عن مهنة الرعى أو أصبحت

---

(٣٨) فقرتى ١٣ ، ١٤ من الاصحاح العشرين من سفر التثنية .

لديهم فى المكان الثانى ، واتجهوا إلى زراعة المحاصيل وبساتين الفاكهة ، وتعقدت حياتهم ودقت أساليبها وتعددت أنواع الملكية لديهم فشملت الأراضى والرقيق والأنعام والمنقولات والنقود ، وأصبح لكل نوع من هذه الأنواع نظمه وقوانينه وآثاره الخطيرة فى الحياة ، كما يظهر ذلك فيما يلى :

ملكية الأراضى عند بنى إسرائيل بعد استقرارهم فى أرض كنعان

ومن أهم أنواع الملكية لديهم فى هذا العهد وأكبرها قيمة ملكية الأرض . فقد ورث بنو إسرائيل عن الكنعانيين أراضى خصبة تفيض بالخيرات والنعيم ، قد بذل أهلها من قبلهم جهودا جبارة فى تهيئتها لمختلف أنواع الزراعة ، وتنمية قدرتها على الإنتاج ، وتوفير ما تحتاج إليه من وسائل الرى والصرف واستنباط الينابيع وشق القنوات والترع والآبار ، ولم يغادروا فيها رقعة إلا استغلوها فى زراعة المحاصيل وبساتين الكروم والزيتون وسائر أنواع الفاكهة ، حتى أطراف الصحارى وقمم الجبال . فكم ترك الكنعانيون لبنى إسرائيل « من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين »[٣٩] .

وقد قسمت هذه الأرض فى مبدأ الأمر على قبائل بنى إسرائيل ، فخص كل قبيلة منها قسم يتناسب مع عدد أفرادها بالقياس إلى أخواتها ، وكان ذلك وفقا لما أوحى به الإله إلى موسى إذ أمره أن يبلغ بنى إسرائيل بأن يقسموا بين قبائلهم الأرض التى سيفىء الله عليهم بها فى بلاد كنعان

---

(٣٩) آيات ٢٥ - ٢٧ من سورة الدخان ، وهى خاصة بما تركه فرعون وقومه بعد غرقهم ، وتصدق كذلك على ما تركه الكنعانيون لبنى إسرائيل .

بعد أن يكتب لهم النصر على أهلها ، « حسب عدد كل قبيلة منهم : فللقبائل الكثيرة العدد مساحة كبيرة ؛ وللقبائل القليلة العدد مساحة صغيرة »[٤٠] .

وتختص قبيلة اللاويين . زيادة عما يؤول إليها وفق القاعدة السابقة — بوصفها القبيلة المختارة المصطفاة الحارسة للشريعة القوامة على شعائر الدين والمشرفة على المذابح المقدسة وما يقدم للإله من أضحية وقرابين — بثمان وأربعين مدينة . منها ست مدن تعتبر حرما آمنا وملجأ لمرتكبي جريمة القتل لا يمسون فيها بسوء إذا لجئوا إليها ، وبمساحات كبيرة حول كل مدينة من هذه المدن الثمانية والأربعين يستخدمها اللاويون وحدهم فى مرافقهم ورعى أنعامهم وما إلى ذلك[٤١] .

والقبائل الأخرى نفسها كان يختلف بعضها عن بعض فى هذا الصدد اختلافا غير يسير . فقد استخدمت القرعة[٤٢] فى التقسيم . فخضعت أنصبة القبائل من بعض الوجوه لعامل غير مضبوط هذا إلى أن القاعدة

---

(٤٠) فقرات ٥٢ — ٥٤ من إصحاح ٢٦ من سفر العدد .

(٤١) فقرات ١ — ٨ من اصحاح ٣٥ من سفر العدد . وقد قدر هذا السفر المساحة التابعة لكل مدينة بقطعة طولها ألف قدم من كل جهة من الجهات الأربع المحيطة بالمدينة . هذا إلى الضرائب الباهظة التى أوجبت الشريعة اليهودية على سائر بنى اسرائيل أن يقدموها إلى الأويين من ثمرات أرضهم ونتاج أنعامهم وما إلى ذلك من الأمور التى سنعرض لها فى مواطنها .

(٤٢) فقرة ٥٥ من أصحاح ٢٦ من سفر العدد .

التى جرت عليها القسمة تميز بين القبائل فى مبدأ الأمر وفى مستقبله . فقد منحت كل قبيلة مساحة من الأرض تتناسب مع عدد أفرادها بالقياس إلى القبائل الأخرى حسب ما كانت عليه فى الوقت الذى أجرى فيه هذا التقسيم . فاختلفت بذلك حظوظ القبائل فى المبدأ ، وأصبح لكل قبيلة منها قدر من الأرض مفروض أنها لا تتجاوزه مهما زاد عدد أفرادها فى المستقبل أو تغيرت نسبتهم إلى غيرهم عما كانت عليه أو أختلفت مقتضيات حياتهم ومطالبها ، وبذلك وضع هذا التقسيم البذور الأولى للاختلاف فى الثروات والفوارق بين الطبقات .

وكانت ملكية الأرض فى مبدأ الأمر ملكية جماعية ، فالقبيلة نفسها هى التى كانت تملك تصيبها وتقسمه بين أسراتها كما تقسم الأعمال بين أفرادها وفق ما تصطلح عليه من نظم وقواعد ، ولكنها لم تلبث أن استحالت إلى ملكيات أسرته ، ثم انتهى الأمر بأن أصبحت ملكية الأراضى لدى بنى إسرائل فردية خالصة تنتقل بطريق الميراث العادى وتقسم بين أولاد المتوفى الذكور وحدهم لأكبرهم مثل حظ اثنين منهم ، وفى حالة عدم وجود أولاد ذكور توزع تركة المتوفى على بناته غير المتزوجات ، وفى هذه الحالة لا يصح لهن أن يتزوجن من خارج القبيلة حتى لا تخرج الثروة إلى قبيلة أخرى[٤٣] ، بل لا يصح لهن أن يتزوجن إلا

---

(٤٣) فقرات ٦ ــ ٩ من اصحاح ٣٦ من سفر العدد .

من أقرب فرع فى عشيرة أبيهن[٤٤] – وعلى هذه القاعدة كان يسير الميراث فى جميع ما يتركه المتوفى من منقول وعقار[٤٥] .

وقد حثت أسفار العهد القديم بنى إسرائيل على استغلال الأراضى ، وحببت إليهم ذلك ، وراعت ما جبلوا عليه من جنوح للكسل وعزوف عن العمل وبذل المجهود ، فأغرتهم على الزراعة بمغريات كثيرة ، منها أنها قررت أن يعفى من الخدمة العسكرية كل من زرع كرما حتى يؤتى الكرم ثماره ، أى مدة خمس سنوات،وهى المدة التى تنقضى عادة على زراعة الكروم حتى يتحقق أول نتاج لها[٤٦] .

غير أن الشريعة الموسوية قد قيدت المالك فى استغلال أرضه بعدة قيود ، كما فرضت عليه عدة واجبات . فمن ذلك أنه كان يجب عليه أن يرفق بعامل الأرض وأن يدفع له أجره قبل أن تغرب الشمس من كل يوم يعمل فيه[٤٧] ، وأن يريحه ويريح دوابه نفسها من العمل فى اليوم السابع من كل أسبوع ، أى فى يوم السبت اليهودى الذى لا يجوز لإنسان ولا

---

(٤٤) انظر فى موضوع الميراث عند اليهود :

Letourneau : l Evolution de la Propriété, PP . 277 , 282 :

(٤٥) خالف هذه القواعد فيما بعد طائفة القرائين من اليهود ، وهى التى نشأت فى القرن الثامن بعد الميلاد ، كما سبق بيان ذلك (انظر ص ١٠٠) .

(٤٦) انظر آخر ص ٢٧٥ من كتاب Letourneau المبين فى تعليق ٤٤ .

(٤٧) فقرتى ١٤ ، ١٥ من اصحاح ٢٤ من سفر التثنية وفقرة ١٣ من اصحاح ١٩ من سفر اللاويين .

لحيوان أن يباشر فيه عملا[٤٨] . ومن ذلك أنه كان يجب عليه أن يريح الأرض نفسها ، أى يتركها بوراً ، سنة كاملة كل سبع سنين ؛ وكل ما كان يظهر فيها من نبات من تلقاء نفسه فى هذه السنة السابعة كان يجب تركه للفقراء . فإن فضل منه شئ عن حاجتهم ترك للسائمة من الأنعام[٤٩] ؛ وتسرى هذه القاعدة على بساتين الكروم والزيتون وسائر أنواع الفاكهة[٥٠] . ومن ذلك أنه كان يجب عليه حينما يحصد حقله أن يترك ناحية منه بدون حصاد وألا يجمع ما تساقط منه فى أثناء الحصاد من سنابل وحبوب ، وأن يفعل مثل ذلك حينما يقطف ثمار كرومه وبساتينه ، حتى يتخلف بعض محصول الحبوب والفواكه للفقراء وأبناء السبيل[٥١] ، ومن ذلك أنه كان يجب عليه أن يقدم للاويين زكاة أرضه وهى العشر من كل ما تخرجه الأرض من غلة أيا كان نوعها ، كما كان يجب عليه أن يقدم لهم ثمار سنة كاملة كل أربع سنين من نتاج بساتينه من الفواكه[٥٢] .

وكانت وسائل إنتقال ملكية الأرض بإرادة المالك مقيدة كذلك بعدة قيود . فقد حظرت الشريعة اليهودية فى مراحلها الأولى على المالك أن يوصى

---

(٤٨) فقرات ٨ - ١١ من اصحاح ٢٠ من سفر الخروج .

(٤٩) فقرتى ١٠ ، ١١ من اصحاح ٢٣ من سفر الخروج ، وفقرتى ٤ - ٧ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين .

(٥٠) فقرة ١١ من اصحاح ٢٣ من سفر الخروج .

(٥١) فقرتى ٩ ، ١٠ من اصحاح ١٩ من سفر اللاويين .

(٥٢) فقرة ٢٤ من اصحاح ١٩ من اللاويين .
انظر كذلك . Letournau : OP . cit ., P . 278

لأحد بشيء من ملكه بعد وفاته . ثم أجيزت الوصية بعد ذلك ، ولكن فى حدود ضيقة كل الضيق . فقد اشترطت قوانين التلمود لجوازها ألا يكون للموصى ورثة معروفون[٥٣] . وهذه القاعدة نفسها كانت مطبقة فى جميع أنواع الملكيات لا فى الأرض وحدها . وأما انتقال الأرض بطريق البيع فما كان يجوز إلا بقيود كثيرة . وانتقال ملكية الأرض بطريق من هذه الطرق كان على كل حال انتقالا موقوتا ينتهى بعد أجل معلوم . وذلك أنه عند حلول « اليوبيل » الاسرائيلى الذى يتكرر كل خمسين عاما ، توجب الشريعة اليهودية أن تعود جميع الأراضى إلى ملاكها الأولين[٥٤] ، حتى ترجع شئون الملكية الزراعية إلى الأوضاع التى شرعها الله إذ قسم الأرض على قبائل بنى إسرائيل عقب احتلالهم لبلاد كنعان . ولكن يظهر من شواهد كثيرة أن هذا القانون لم يراع تطبيقه مراعاة كاملة فى العهود الأولى وأنه قد أغفل تطبيقه كل الإغفال فى العهود الأخيرة وأنه فى جملته كان مجرد أمنية تتردد فى نفوس بنى إسرائيل ومشرعيهم أن تظل ملكية الأراضى محافظة فى صورة ما على أوضاعها الأولى[٥٥] .

---

(٥٣) Ibid., PP. 277, 278.

(٥٤) فقرة ١٣ وتوابعها من اصحاح ٢٥ وفقرة ٢٤ من اصحاح ٢٧ من سفر اللاويين .

(٥٥) هذا هو رأى أدولف لودز من أشهر المؤرخين عن اسرائيل .
A. Lods: Israël... etc., cité par Challay: Histoire de la propriété, P. 41.

— ٦ —

ملكية الرقيق عند بنى إسرائيل بعد استقرارهم فى أرض كنعان

كان نظام الرق معروفا ومعمولا به لدى العبريين منذ أقدم عهودهم. فسفر التكوين يحدثنا عن رقيق من الذكور والإناث فى منازل آبائهم الأولين أنفسهم إبراهيم و إسحاق ويعقوب (٥٦) . غير أن هذا النظام لم يعم انتشاره لديهم ، ولم تصبح لملكية الرقيق أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية وفى شئون المال والاقتصاد ، ولم توضع لها قواعد مضبوطة دقيقة ، إلا فى العهد الذى نحن بصدد الكلام عنه .

ومعنى الرق أن يصبح إنسان مملوكا لجماعة أو لفرد معين فيجرد من معظم الحقوق المدينة وحقوق الإنسان التى ينعم بها الحر ، ويعامل من كثير من الوجوه معاملة السلعة المملوكة ، مع بعض فوارق تقتضيها طبيعة الإنسان واختلاف مقوماتها اختلافا جوهريا عما عداها من الملكيات المتعلقة بالجماد والحيوان .

وكانت مصادر الرق عند الإسرائيليين فى هذا العصر كثيرة متشعبة ولكن أهمها كان يرجع إلى ستة مصادر .

---

(٥٦) فقرة ١٤ من اصحاح ١٤ ، وفقرة ٥ من اصحاح ٢٥ ، وفقرة ١٤ من اصحاح ٢٦ من سفر التكوين .

١ – وأهم هذه المصادر كانت الحرب التى تنشب بين الإسرائيليين وغيرهم أو بين قبائلهم وممالكهم بعضها مع بعض . أما النوع الأول من الحروب ، وهى الحروب الخارجية التى تنشب بينهم وبين غيرهم ، وخاصة الحروب التى شنوها على الكنعانيين ، فقد أمدتهم بمعظم ما كانوا يملكون من رقيق . وذلك أنهم كانوا بعد انتصارهم على بلد ما يضربون الرق على جميع أهلها من النساء والأطفال . أما الرجال فقد أمرتهم كتبهم المقدسة « أن يضربوا رقابهم بحد السيف » وألا يبقوا على أحد منهم[٥٧] » . وقد حافظوا على هذه الوصايا فى عهودهم الأولى . ولكن يبدو أنهم فيما بعد كانوا يؤثرون الإبقاء على الرجال واسترقاقهم[٥٨] . وأما حروبهم بعضهم مع بعضى فقد حرمت عليهم كتبهم المقدسة استرقاق من يؤسرون فيها أو من يغلبون من بنى إسرائيل . ولكن يبدو من شواهد تاريخية كثيرة أنهم كانوا يخالفون هذه الوصايا ويعاملون الإسرائيلى أسير الحرب الداخلية معاملة الأسير غير الإسرائيلى فيضربون الرق عليه[٥٩] .

٢ – ومع أن كتبهم المقدسة كانت تحظر عليهم حظراً باتاً خطف إنسان حر فى غير حرب والاستيلاء عليه قسراً واسترقاقه أو بيعه ، بل كانت توجب أن توقع عقوبة الإعدام على مرتكب هذا الجرم[٦٠] ، فإنه يظهر

---

(٥٧) فقرتى ١٣ ، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

(٥٨) انظر كتابنا بالفرنسية : نظرية اجتماعية فى الرق صفحتى ٤١ ، ٤٢

Ali Abdel Wahed : Contribution à une théorie Sociologique de l'Esclavage, PP. 41 , 42 .

(٥٩) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٦٠) فقرة ١٦ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج .

من عدة شواهد تاريخية أن الخطف والاستيلاء على الناس بالقوة كانا فى الواقع العملى مصدرين هامين من مصادر الرق لدى بنى إسرائيل ، وأن ذلك كان معمولا به حتى فى أقدم عهودهم ، بدليل ما تذكره التوراة ويذكره القرآن عن استيلاء إخوة يوسف عليه وبيعهم إياه بثمن بخس بيع الرقيق [٦١] .

٣ - وكان من مصادر الرق لديهم كذلك العقوبات التى كانت توقع أحياناً على السارق وعلى المدين العاجز عن دفع دينه .

فالشريعة اليهودية تقضى بالرق على السارق الذى لا يستطيع دفع التعويض المالى الذى يحكم به عليه لصالح المسروق منه ، فتوجب بيعه بيع الرقيق واستيفاء هذا التعويض من ثمنه . وفى هذا يقول سفر الخروج : « إذا سرق رجل ثوراً أو حَمَلاً وذبحه أو باعه وجب عليه أن يرد لصاحب الثور خمسة ثيران ولصاحب الحمل أربعة حملان . . . وإن كان ماسرقه لا يزال حياً فى يده ، سواء أكان ثوراً أم حماراً أم حملا ، فإنه يرد ضعفه لصاحبه . فإن لم يكن لديه ما يكفى للسداد وجب بيعه هو نفسه واستيفاء التعويض من ثمنه [٦٢] » .

ومع أن أسفار العهد القديم لا تبيح استرقاق المدين الذى يعجز عن دفع دينه فى الأجل المضروب ، فإن العمل قد جرى لدى بنى إسرائيل فى مختلف عهودهم على استرقاقه ، فكان يصبح عبداً للدائن ، أو يباع بيع

---

(٦١) القرآن الكريم آية ٢٠ من سورة يوسف ، وفقرات ٢٦ - ٢٩ من اصحاح ٣٧ من سفر التكوين .

(٦٢) فقرات ١ - ٥ من اصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

الرقيق لغيره ويستوفى الدين من ثمنه . بل لقد جرى العمل فى بعض عهودهم على أن يسترق مع المدين نفسه أولاده وزوجاته . ويبدو من استقراء اسفارهم التاريخية أن العجز عن الوفاء بالدين قد قذف فى نطاق الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس(٦٣) .

٤ — وكان من مصادر الرق لديهم كذلك سلطة الوالد على أولاده . فقد أجاز العهد القديم للوالد أن يبيع بنته بيع الرقيق لمن يقبل زواجها لنفسه أو لأحد أبنائه(٦٤) . ويشترط التلمود لصحة هذا البيع ، بجانب هذا الشرط ، شروطاً أخرى كثيرة ، منها أن يكون الوالد فى فقر مدقع قد تقطعت به الأسباب ، حتى إنه لم يجد وسيلة أخرى لسد رمقه . ولكن هذه الشروط جميعها لم تكن موضع رعاية من الناحية العملية ، فكان الآباء ينتفعون بهذه الرخصة فى أوسع نطاق . بل إن هنالك من الشواهد ما يدل على أنهم كانوا يطبقونها أحياناً على أولادهم الذكور أنفسهم(٦٥) .

٥ — وقد أجاز العهد القديم للإسرائيلى أن يبيع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الإسرائيلى فيصبح رقيقاً له(٦٦) . وقد اشترط التلمود لصحة هذا البيع أن يكون الإسرائيلى رجلا لا امرأة(٦٧) ، وأن يكون قد وصل إلى

---

(٦٣) انظر فى تفصيل ذلك صفحات ٤٦ — ٥٠ من كتابنا بالفرنسية المذكور فى تعليق ٥٨ .

(٦٤) فقرات ٧ — ١٢ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج .

(٦٥) انظر فى ذلك كتابنا بالفرنسية المذكور فى تعليق ٥٨ ، صفحات ٥٠ — ٥٢ .

(٦٦) فقرة ١١ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية .

(٦٧) وهذا على الرغم من أن فقرة سفر التثنية المذكورة فى التعليق السابق صريحة فى ان هذا اثر للرجل والمرأة على السواء ، فنصها : « اذا باعك نفسه أحد من اخوانك رجلا كان أم امرأة » يخدمك ست سنين . . . الخ » . — وقد أشرنا إلى هذا التضارب بين شرائع اليهود فيما سبق . نظر ص ٥٧ وتوابعها) .

أقصى حالات العوز والمسغبة ، وألا تكون لديه وسيلة أخرى للحياة ، فلا يباح له ذلك» إلا بعد أن يكون قد باع جميع ما يملكه من أرض وبيوت ومتاع وأكل ثمنها جميعها ، وأعوزته ضرورات الحياة ، فلم يجد لقمة عيش لغذائه ، ولا منزلا يأوى إليه ، ولا سقفاً ينام تحته » . – ويبدو أن هذه الشروط كانت مرعية إلى حد كبير . غير أن الأزمات الاقتصادية التى كانت تضرب بجرانها من حين لآخر وتشتد وطأتها على الفقراء والمحرومين قد ضمت إلى طبقة العبيد من الأجانب عدداً غير يسير من أحرار بنى إسرائيل الذين كانت تلجئهم الضرورة إلى بيع أنفسهم بيع الرقيق[٦٨] .

٦ – وكان من أهم مصادر الرق لديهم ، بل كان أهمها جميعاً بعد الحرب ، تناسل الرقيق ، فكانت القاعدة عند الإسرائيليين فى ذلك أن الولد يتبع أمه رقاً وحرية . فابن الجارية كان يولد رقيقاً ولو كان أبوه حراً ، بل لو كان أبوه السيد نفسه ، وينتقل إليه نوع الرق الذى كان مضروباً على أمه : فإن كانت ذات رق دائم ضرب عليه الرق الأبدى وإن كانت ذات رق موقوت بأجل انتهى رقه بانتهاء الأجل .

وما كان يستثنى لدى بنى إسرائيل من قاعدة تبعية الولد لأمه فى رقها إلا حالة واحدة غريبة ، وهى أن تتنازل الزوجة الشرعية لأمتها أو أمة زوجها عن فراشها على شرط أن ما تأتى به الجارية من ثمرات هذا الفراش يكون ولداً لها هى لا للجارية التى ولدته . ففى هذه الحالة يولد الولد حراً أى يتبع أمه الشرعية فى حريتها بقطع النظر عن رق أمه الطبيعية التى جاءت به . وهذا النظام الغريب كان معمولا به فى عصورهم القديمة على

---

(٦٨) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا بالفرنسية المذكور آنفا ، صفحات ٥٤ – ٥٧ .

الأخص . وقد طبق على اسماعيل بن ابراهيم من جاريته هاجر ، بحسب ما يذكره سفر التكوين[٦٩] .

* * *

وكان الرق المضروب على غير الإسرائيلى رقاً مؤبداً[٧٠] بينما كان الرق المضروب على الإسرائيلى رقاً موقوتاً . فإذا كان الرقيق امرأة إسرائيلية باعها أبوها فإن رقها لا يبقى إلا مادام السيد متخذاً إياها زوجة أو زوجة لابنه . فإن كرهها من هى فى عصمته وجب تيسير عتقها ورد حريتها إليها[٧١] . وإن كان الرقيق رجلا اسرائيلياً ضرب عليه الرق لسبب من الأسباب السابق ذكرها فإن رقة لا يدوم إلا مدة ست سنين بحسب ما جاء فى سفرى الخروج والتثنية[٧٢] ، أو ينتهى بحلول اليوبيل الإسرائيلى(وهو الخمسينى أى الذى يجئ كل خمسين سنة) أياً كانت المدة التى قضاها فى الرق بحسب ما جاء فى سفر اللاويين[٧٣] . فإن أبدى الإسرائيلى الذى انتهت مدة رقه رغبة صريحة فى أن يبقى رقيقاً عند سيده ، عرض أمره على القضاة ، فإن قرروا إجابته إلى رغبته ، قاده سيده إلى المدينة ، وثقب أذنه

---

(٦٩) اصحاح ١٦ وفقرات ١ – ١٤ من اصحاح ٣٠ من سفر التكوين وانظر التفصيل فى كتابنا بالفرنسية المذكور آنفا صفحات ٢١ – ٢٣ .

(٧٠) فقرات ٤٤ – ٤٧ من اصحاح ٢٥ من اللاويين .

(٧١) هذا بحسب ما ورد فى فقرات ٧ – ١١ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج . وأما سفر التثنية واللاويين فيجعلان حكمها حكم الرجل الإسرائيلى (انظر فقرة ١٢ من اصحاح ٦٥ من سفر التثنية وفقرات ١٠ ، ٣٩ – ٤٣ من اصحاح ٢٥ من سفر انلاويين) .

(٧٢) فقرة ٢ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج ، وفقرة ١٢ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية .

(٧٣) فقرة ٤٠ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين . وهذا مظهر من مظاهر التضارب فى شريعتهم . وقد أشرنا إليه فيما سبق (انظر ٥٧ وتوابعها) .

بمثقبة دلالة على امتداد رقه . وحينئذ يصبح رقه مؤبداً كالرقيق من غير بني إسرائيل [٧٤] .

وقد قيدت الشريعة اليهودية حق السيد على رقيقه بعدة قيود كما فرضت عليه عدة واجبات حياله . فمن ذلك أنها أوجبت عليه سد حاجته فى المأكل والمشرب والمسكن ، وحظرت عليه إيذاءه ؛ وفرضت عقوبات قاسية توقع على السيد فى حالة العدوان : فإذا قتل عبده عوقب بالإعدام ، وإذا فقأ عينه أو كسر سنه أو أصابه بجرح من هذا القبيل كان جزاؤه أن يتحرر عبده ، فتزول ملكيته عنه . ومن ذلك أنها توجب عليه فى حالة معاشرته لأمته أن يجعلها من سراريه ، وتحظر عليه فى هذه الحالة أن يبيعها ، فإن كرهها وجب عليه تحريرها . ومن ذلك أنها توجب على السيد أن يريح عبده فى اليوم السابع من كل أسبوع ، وهو يوم السبت اليهودى ، وفى جميع الأعياد الدينية فلا يكلفه فيها عملا ولا يدعه يباشر عملا .

ولكن يظهر أن هذه التعاليم وتعاليم أخرى رحيمة من نوعها لم تكن موضع رعاية كبيرة لدى بنى إسرائيل ، وأنه قد سادت لديهم صفات القسوة على الرقيق وسوء معاملته وإرهاقه بالعمل والجشع فى استغلاله وعدم التورع عن أية وسيلة للانتفاع به . حتى إن بعض الموالى كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء للانتفاع بأجورهن .

---

(٧٤) انظر تفصيل ذلك فى صفحات ٥٧ — ٦٠ من كتابنا بالفرنسية المذكور آنفا .

وكانت وسائل انتقال ملكية الرقيق بإرادة سيده مقيدة كذلك بعدة قيود . فمن ذلك أنه ما كان يجوز للسيد يبيع رقيقه الإسرائيلى ، وما كان يجوز له أن يبيع أمته الإسرائيلية التى اتخذها زوجة له أو زوجة لابنه[٧٥] ، ولا أمته غير الإسرائيلية إذا كان قد عاشرها معاشرة الأزواج[٧٦] .

وكانت ملكية الرقيق تختلف عن ملكية الحيوان والجماد فى أنها عرضة لأن تصبح غير ذات موضوع مع بقاء الكائن نفسه الذى كانت متعلقة به ، وذلك فى حالة ما إذا عتق الرقيق . ففى هذه الحالة يصبح حرا ، أى تزول صفة الملكية عنه . وكان ثم نوعان من العتق : أحدهما عتق جبرى يقرره القانون نفسه فى بعض الحالات على الرغم من السيد نفسه كتحرير الرقيق الإسرائيلى بعد ست سنين أو بعد اليوبيل اليهودى والرقيق الأجنبي إذا فقأ السيد عينه ؛ والآخر عتق اختيارى يقرره السيد نفسه برضاه . وهذا العتق الأخير قيدته الشريعة اليهودية بعدة قيود . بل إن بعض فقهاء اليهود ليحظر على السيد تحرير رقيقه الأجنبى عملا بظاهر النص الذى ورد فى صدده فى العهد القديم[٧٧] .

---

(٧٥) فقرات ٧ — ٩ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج .

(٧٦) فقرات ١٠ — ١٥ من اصحاح ٢١ من سفر التثنية .

(٧٧) « تحتفظ بهم رقيقا إلى الأبد » ، فقرة ٤٦ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين .

– ٧ –

ملكية الأنعام عند بنى إسرائيل بعد استقرارهم

فى أرض كنعان

لم يكن للملكية الأنعام فى هذا العصر أهميتها التى كانت لها فى العصر السابق . فقد أصبحت مهنة الرعى مهنة ثانوية بالقياس إلى مهنة الفلاحة وزراعة البساتين . ومع ذلك فإن الأنعام كانت تمثل حينئذ قسما ذا بال من الثروة العامة ، وكان يشتغل بتربيتها عدد غير يسير من الناس . وقد جلب الإسرائيليون معهم إلى بلاد كنعان جميع ما كانوا يملكونه فى أوطانهم الأولى من قطعان الماشية ، وأضافوا إليها بعد احتلالهم لهذه البلاد جميع ما كان يملكه أهلها من أنعام . فزادت رءوس أموالهم منها أضعافا مضاعفة . ولم يكونوا فى ذلك باغين ولا عادين ، بل كانوا مطبقين لتعاليم العهد القديم ، فقد نصت كتبهم المقدسة على أن جميع مايوجد من أنعام فى بلد مقهور يصبح غنيمة لبنى إسرائيل (٧٨)

وكانت ملكية الانعام لديهم قبل دخولهم أرض كنعان ملكية أسرية مختلطة ببعض مظاهر الملكية الفردية كما تقدم بيان ذلك ؛ ولكنها لم تلبث أن تحولت فى العهد الذى نتحدث عنه إلى ملكية فردية خالصة . فجميع ملاك الأنعام الذين تتحدث عنهم أسفار اليهود فى هذا العهد أفراد

---

(٧٨) فقرة ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

حقيقيون لاعتباريون. فمن ذلك ما يذكره سفر صموائيل من ان نابال كان رجلا واسع الثراء ، لأنه كان يملك ثلاثة آلاف نعجة وألف شاة[79] . وجميع المنازعات التى كانت تقع من جراء ملكية الماشية فى هذا العهد والتى تحدثت عنها كذلك أسفارهم أو ضربت بها الأمثال كانت تقع بين أفراد مشخصين ممثلين لأنفسهم فحسب لا بين جماعات ولا بين شخاص ممثلين لهيئات[80] .

وكانت ملكية الأنعام تفرض على مالكها واجبات كثيرة من أهمها أن يقدم زكاتها للاويين . وزكاة الأنعام كانت أول ما يولد من جميع أنواع الماشية التى يملكها الإسرائيلى وعاشر ما يولد لكل بقرة ونعجة وشاة[81] .

* * *

(٧٩) فقرة ٢ من اصحاح ٢٥ من السفر الأول لصموئيل .

(٨٠) انظر مثلا الاصحاح الثانى عشر من السفر الثانى من سفرى صموئيل ، وانظر كذلك آيات ٢١ – ٢٤ من سورة ص من القرآن الكريم .

(٨١) فقرة ٢٦ من اصحاح ٢٧ من سفر اللاويين .

— ٨ —

ملكية المنقول والنقود عند بنى إسرائيل

بعد استقرارهم فى أرض كنعان

عرف بنو إسرائيل منذ أقدم عهودهم قيمة الذهب والفضة وحرصوا على اكتنازهما ، كما عرفوا التعامل بالنقود المتخذة من هذين المعدنين ومن غيرهما من المعادن . فالتوراة تحدثنا عن إخوة يوسف وبيعهم إياه للاسماعيليين بعشرين مثقالا Sicles من الفضة [٨٢] . والقرآن الكريم يذكر الكلمة الصريحة فى معنى النقد المضروب إذ يخبر أنهم « شروه بثمن بخس دراهم معدودة [٨٣] ».وعندما سمح فرعون لبنى إسرائيل بالخروج من مصر حرصوا على أن يحملوا معهم سلعا كبيرة القيمة ليكتنزوها ، ويتخذوا منها رءوس أموال ، ويأمنوا بها شر الحاجة ، وتفيدهم فى رحلاتهم المجهولة المصير ، فطلبوا إلى المصريين – وكان ذلك تنفيذا لما أوصاهم به موسى نفسه – أن يهدوهم آنية من الذهب والفضة [٨٤] ، ولم يغادروا مصر إلا بعد أن أجيبوا إلى رغبتهم ، وسلبوا المصريين (بحسب تعبير سفر التكوين) [٨٥] أنفس ما كانوا يملكونه من ثروات .

---

(٨٢) فقرة ٢٨ من اصحاح ٣٧ من سفر التكوين .

(٨٣) آية ٢٠ من سورة يوسف .

(٨٤) فقرة ٣٥ من اصحاح ١٢ من سفر التكوين .

(٨٥) فقرة ٣٦ من اصحاح ١٢ من سفر التكوين .

ويبدو أن ثرواتهم هذه قد زادت زيادة كبيرة فى أثناء المدة المنصرمة بين خروجهم من مصر ودخولهم أرض كنعان ، بفضل ما كانت تدره عليهم ماشيتهم من جهة ، وما كانوا يشنونه من جهة أخرى من حين لآخر على غيرهم من غارات يستلبون فيها كل ما كانت تصل إليه أيديهم من مال ومتاع .

ولكن كل ماجمعوه فى أثناء مقامهم فى مصر وتقلبهم فى صحراء سينا لم يكن شيئاً مذكورا بجانب ما أفاءه عليهم فتحهم لبلاد كنعان . فلم يغنم بنو إسرائيل من بلاد كنعان أرضا ومنازل وبساتين ورقيقا وأنعاما فحسب ، بل غنموا منها كذلك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة وما تزيد قيمته كثيرا عن ذلك من التحف والأمتعة والأثاث . كل ذلك قد أمرتهم كتبهم المقدسة أن « ينهبوه »[٨٦] بحسب تعبيرها وألا يبقوا على شئ منه لأهل البلاد . وقد نفذوا ما أمروا به على أقسى وجه من طرق التنفيذ ؛ وقسموا غنائمهم هذه فيما بينهم ، فخرجوا من ذلك بثروات طائلة وملك كبير .

وظهر لدى بنى إسرائيل فى هذا العهد من وجوه النشاط الاقتصادى طرق جديدة لم يكن لهم بها عهد من قبل أو لم تكن ذات بال فى شئون حياتهم الأولى . وكان لهذه الطرائق أثر كبير فى تنمية ثرواتهم التى نتحدث عنها . ومن أهم هذه الطرائق التجارة الداخلية والخارجية والصناعة بمختلف فروعها المعروفة فى ذلك العهد وأعمال المصارف والقرض بفائدة وما إلى ذلك . ووجه بنو إسرائيل إلى هذه الشئون الجديدة أكبر قسط من عنايتهم ، وتفننوا فى الإفادة منها لاستثمار أموالهم ، ولم يغادروا فى نواحيها

(٨٦) فقرتى ١٣ ، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

طريقا شريفا أو خسيسا من طرق الربح إلا سلكوه ، فتضخمت بذلك ثرواتهم وزادت عما كانت عليه أضعافا مضاعفة .

ويظهر أن ملكية النقود والمتاع والمنقول كانت فى جميع مراحل هذا العصر ملكية فردية خالصة . بل يبدو أن صفة الفردية كانت الصفة الغالبة فيها حتى قبل استقرارهم فى بلاد كنعان .

— ٩ —

حماية الملكية عند إسرائيل

أنزلت الشريعة اليهودية الملكية بمختلف أنواعها منزلة التقديس وأحاطتها بسياج قوى من الحماية . وفرضت عقوبات قاسية على الغاصب وسارق المنقول والمعتدى على الملكية الزراعية والعقارية وعلى حدود الأرض .

فمن بين الوصايا العشر التى كلف الله موسى أن يبلغها بنى إسرائيل رجعلها دعائم رسالته النهى عن السرقة والغصب والاستيلاء على مال الغير بأى طريق وأن يمد الشخص عينيه إلى ما متع الله به أخاه من منزل أو امرأة أو عبد أو مال أو متاع أو أى شيء آخر مما يملكه[٨٧] .

ويقرر سفر الخروج أنه إذا فوجيء اللص وهو متلبس بجريمة السرقة فقتل أو ضرب حتى مات فإن دمه يذهب هدراً[٨٨] وأنه إذا لم يكن لدى السارق ما يكفي لسداد التعويض الذى يجب أن يغرمه للمجنى عليه وجب بيعه هو نفسه بيع الرقيق واستيفاء التعويض من ثمنه[٨٩] وأن التعويض المقرر هو خمسة ثيران فى مقابل كل ثور سرقه وأربعة حملان فى مقابل كل

---

(٨٧) فقرتى ١٥ ، ١٦ من اصحاح ٢٠ من سفر الخروج .
(٨٨) فقرة ٢ من اصحاح ٢٢ من سفر الخروج .
(٨٩) فقرة ٣ من اصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

حمل إن كان السارق قد ذبح ما سرقه أو باعه وضعف ما سرقه إن كان لا يزال حيا فى يده سواء أكان المسروق ثورا أم حمارا أم حملا(٩٠) . ويقرر التلمود أن التعويض فيما عدا ذلك هو ضعف قيمة الشىء المسروق(٩١)

وقد عاقب الله « أخاب » ملك السامرة Achab roi de Samarie على اغتصابه بستانا مجاورا لقصره كان يملكه نابوت اليزرائيلى Nabot de jezreel بأن أهلك الملك وزوجه إيزابيل Jesabel وأهله جميعا وأرسل الكلاب والطيور الجارحة تأكل لحومهم وتلعق دماءهم ، ودمر مساكنهم ، وأوحى إلى نبيه إيلياء Elie أن يبلغ الملك وزوجه ما سيحيق بهما ويآلهما جزاء بما كسبا نكالا من الله(٩٢) .

وقد ابتهل اللاويون فى جهر من القول على مشهد من شعب بنى إسرائيل فجعلوا لعنة الله على من ينقل حدود الحقل المجاورله ، وقال الشعب كله : آمين(٩٣) . هذا إلى العقاب الدنيوى الصارم الذى قررته شريعتهم لهذا الجرم .

---

(٩٠) فقرات ١ -٤ من إصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

(٩١) انظر ص ٤٥ من كتابنا بالفرنسية المذكور أنفا والتعليق الأول فى تلك الصفحة .

(٩٢) كان الملك أخاب قد عرض على نابوت أن يتنازل له عن هذا البستان المجاور لقصره بثمن أو فى نظير بستان آخر يعطيه أياه ، فلم يقبل نابوت ذلك حفاظا على تراث أبيه . فكاد له الملك هو وزوجته بأن اتهماه ظلما بأنه سب الاله اسرائيل وسب ملكها ، وأشهد على ذلك شاهدى زور فنفذ فيه حكم الاعدام رجما وقتل بنوه واستولى الملك على بستانه فى قصة طويلة مفصلة فى الاصحاح ٢١ من السفر الأول من سفرى الملوك وفى الفقرتين ٢٥ ، ٢٦ من الاصحاح التاسع من السفر الثانى للملوك .

(٩٣) فقرة ١٧ من اصحاح ٢٧ من سفر التثنية .

— ١٠ —

اتساع الفروق بين الطبقات والأفراد عند بنى إسرائيل بعد استقرارهم فى أرض كنعان

أتاح الاستقرار والطمأنينة اللذان سادا المجتمع الإسرائيلى فى هذا العهد فرصا كثيرة للاثراء واستثمار الأموال . وقد أفاد من هذه الفرص أكبر إفادة بعض طبقات وبعض أفراد من بنى إسرائيل ، فملكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونساؤهم وأولادهم فى الترف والنعيم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر أفراد الشعب فى مآكلهم ومشاربهم وزينتهم ومساكنهم وسائر شئون حياتهم ، واستعلوا على غيرهم استعلاء كبيرا(٩٤) .

وكان لابد لهم ، لكى يبقوا على مستواهم الاقتصادى والمعيشى ، أن يمعنوا فى ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شئ . ولم يكونوا ليخشوا من جراء ذلك جزاء ولا حسابا ؛ فقد كانواهم الصفوة المختارة الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ويحاسبونهم ولا يحاسبون ؛ وكانوا قادة الشعب وحكامه ، وبيدهم الحل والعقد وعن طريقهم تساس الأمور . وكانوا لا يتورعون فى سبيل الإثراء عن الالتجاء إلى أخس الوسائل : فكانوا يأكلون

---

(٩٤) انظر أوصاف طبقة المترفين فى معظم أسفار الأنبياء وخاصة فى الاصحاح الثالث من سفر أشعياء Esaïe إذ يصف الترف فى نساء هذه الطبقة (فقرات ١٦ — ٢٤) .

أموال الناس بالباطل ، ويمدون أيديهم للرشوة ، ويسلبون أموال الضعفاء واليتامى والأرامل ، ويقرضون المعوزين من بنى إسرائيل وغيرهم بربا فاحش[٩٥] ، ثم يستولون على أراضيهم سدادا لديونهم أو يبيعونهم ويبيعون أولادهم وزوجاتهم بيع الرقيق . فاستحالت بذلك معظم الأراضى إلى إقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الأفرادو الطبقات ، وتكدست كذلك معظم الثروات الأخرى فى أيدى هؤلاء ، حتى لقد ضاقت بها بيوتهم ، ولم يقو البشر على حراستها ، فلجئوا إلى بيت الله ، إلى معبدهم نفسه ، واتخذوا فيه أنفاقا ومغارات وخزانات يحفظون فيها نقودهم وتحفهم وأحجارهم الكريمة والثمين من أموالهم ، حيث تكون فى حراسة الإله نفسه ورعايته . فاستحال بذلك المعبد إلى« بنك » يهودى لحفظ ودائع بنى إسرائيل[٩٦] . وكان من نتائج ذلك أن اختفت الملكيات الصغيرة أو كادت وأن هوت دهماء الشعب إلى أحط درك فى البؤس والشقاء . وقد وصف ذلك النبى أشعياء Esaie فى أبلغ عبارة إذ يقول : « ألا تعسا لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل ومن حقل إلى حقل ، حتى لا يكون ثم موضع قدم لغيرهم وحتى يستأثروا وحدهم بسكنى هذه البلاد »[٩٧] .

---

(٩٥) مع أن الربا كان بحسب شريعتهم محرما التعامل به بين الاسرائيليين بعضهم مع بعض : « لك أن تحصل على فائدة من الأجنبى، ولكن لا يحل لك أن تفعل ذلك مع أخيك » (فقرة ٢٠ من أصحاح ٢٣ وفقرة ٣ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية) . — انظر كذلك ما ذكرناه عن قيام شريعتهم على التفرقة العنصرية فى صفحات ٥٠ — ٥٢ .

(٩٦) انظر . Letourneau, op. cit. p. 283

(٩٧) فقرات ٨ — ١٠ من الاصحاح الخامس من سفر أشعياء .

— ١١ —

اتجاهات شيوعية فى إسرائيل

وفى القرن الثانى قبل الميلاد ظهر فى بنى اسرائيل اتجاهات شيوعية يحمل لواءها جماعة الحسديين Esseniens . فقد نددت هذه الجماعة بنظام الملكية الفردية ، وما يجره هذا النظام على المجتمع من نتائج وخيمة ، ونادت بالملكية الجماعية ووجوب المساواة بين الناس فى شئون الاقتصاد . — ولكن لم يكن لآراء هذه الفرقة أثر يذكر فى الشئون الاجتماعية لبنى إسرائيل .

وقد تكلمنا بتفصيل على هذه الفرقة وما ارتضته من نظم فى مختلف شئون الحياة فى أثناء كلامنا على فرق اليهود .

انتهت الطبعة الثانية فى المحرم ١٤٠٢ هـ نوفمبر ١٩٨١م



فهـــرس

الموضوع **الصفحة**

الصفحة

الموضوع



من مؤلفات الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

كتب باللغات الأجنبية :

١ ـ نظرية اجتماعية فى الرق .

٢ ـ الفرق بين رق الرجل ورق المرأة .

طبعا باللغة الفرنسية بباريس سنة ١٩٣١ وحصل بهما المؤلف على شهادة الدكتوراه بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة باريس .

كتب باللغة العربية :

٣ ـ علم اللغة (الطبعة التاسعة ، مزيدة ومنقحة) .

٤ ـ فقه اللغة (الطبعة التاسعة ، مزيدة ومنقحة) .

٥ ـ نشأة اللغة عند الإنسان والطفل (الطبعة الرابعة ، مزيدة ومنقحة) .

٦ ـ اللغة والمجتمع (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة) .

٧ ـ علم الاجتماع (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٨ ـ الأسرة والمجتمع (الطبعة السابعة ، مزيدة ومنقحة) .

٩ ـ المسئولية والجزاء (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة) .

١٠ ـ قصة الملكية فى العالم (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

١١ ـ قصة الزواج والعزوبة فى العالم .

١٢ ــ مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين .

١٣ ، ١٤ ــ غرائب النظم والتقاليد والعادات (جزءان) .

١٥ ــ المجتمع العربى .

١٦ ــ الهنود الحمر (سلسلة اقرأ عدد ٨٨ ، الطبعة الثانية) .

١٧ ــ الطوطمية (سلسلة اقرأ عدد ١٩٤) .

١٨ ــ الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

١٩ ــ ابن خلدون منشىء علم الاجتماع .

٢٠ ــ عبد الرحمن بن خلدون : حياته وآثاره ومظاهر عبقريته (ظهر فى سلسلة «أعلام العرب» التى تصدرها وزارة الثقافة) .

٢١ ــ عبقريات ابن خـــلدون .

٢٢ ــ ٢٤ ــ «مقدمة ابن خلدون» مع تمهيد وتكملة وتحقيق وشرح وتعليق (ثلاثة أجزاء ، بها نحو ثلاثة آلاف تعليق ،وفهرس تحليلى وفهرس أبجدى ، وتمهيد فى نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير وظهر فيها الفصول والفقرات التى كانت ساقطة من طبعاتها المتداولة وتبلغ حوالى مائة صفحة ــ الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة) .

٢٥ ــ فصول من «آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى» مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق .

٢٦ – «المدينة الفاضلة» للفارابى مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق . (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٢٧ – الاقتصاد السياسى (الطبعة السادسة ، مزيدة ومنقحة) .

٢٨ – البطالة ووسائل علاجها والتعليم الإقليمى وأثره فى علاج البطالة (نال جائزة المباراة الأدبية سنة ١٩٣٥) .

٢٩ – عوامل التربية ، بحوث فى علم الاجتماع التربوى والأخلاقى (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٣٠ – فى التربية (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٣١ – أصول التربية ونظام التعليم (مع آخرين) .

٣٢ – الوراثة والبيئة (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٣٣ – اللعب والعمل .

٣٤ – مواد الدراسة .

٣٥ – حقوق الإنسان فى الإسلام (الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحة)

٣٦ – المساواة فى الإسلام (سلسلة «اقرأ» عدد ٢٣٥ الطبعة العاشرة ، مزيدة ومنقحة) .

٣٧ – الحرية فى الإسلام (سلسلة «اقرأ» عدد ٣٠٤ ، الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٣٨ – بيت الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات فى الإسلام (ظهر فى السلسلة التى تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة بعنوان «مع الإسلام») .

٣٩ — الصوم والأضحية فى الإسلام والشرائع السابقة (ظهر فى السلسلة التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان «دراسات فى الإسلام») .

٤٠ — حماية الإسلام للأنفس والأغراض .

٤١ — المرأة فى الإسلام .

٤٢ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة) .

٤٣ — اليهودية واليهود . (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٤٤ — بحوث فى الإسلام والاجتماع .

بحوث باللغات الأجنبية طبعت على حدة :

١ — نظرية جديدة فى وأد البنات عند العرب فى الجاهلية (نشر باللغة الفرنسية فى مطبوعات المجمع الدولى لعلم الاجتماع) .

٢ — حقوق الإنسان فى الإسلام (قدم باللغتين الفرنسية والإنجليزية إلى مؤتمر اليونسكو الخاص بدراسة حقوق الإنسان المنعقد فى أكسفورد سنة ١٩٦٥ ونشر فى مطبوعاته بهاتين اللغتين) .

بحوث باللغة العربية طبعت على حدة وفصول من كتب :

٣ — رغبات المؤتمر الدولى الخامس للتربية العائلية (ترجمة عن الفرنسية وتعليقات ، طبعته وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٦) .

٤ — تعليمات تربوية لمدرسى المدارس المتوسطة والثانوية العراقية (طبعته وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٣٧) .

٥ — ميادين الخدمة الاجتماعية ، شغل أوقات الفراغ (ألقى فى مؤتمر الإصلاح الاجتماعى سنة ١٩٤٠ ، وقامت بطبعه «رابطة الإصلاح الاجتماعى») .

٦ — الحرية والأخاء والمساواة فى الإسلام (ألقى فى مؤتمر الإصلاح الاجتماعى سنة ١٩٤١ وقامت بطبعه على حدة «جماعة التعريف الدولى بالإسلام») .

٧ — الصوم (فصلة من مجلة كلية الآداب عدد مايو ١٩٥٠) .

٨ — النظم الدينية عند قدماء اليونان .

٩ — أقدم البحوث الاجتماعية عند قدماء اليونان .

١٠ — الشعر الحماسى عند قدماء اليونان .

١١ — النزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان .

١٢ — الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون وأوجيست كونت .

ظهرت هذه البحوث الخمسة الأخيرة مطبوعاً كل منها فى فصلة على حدة فى مؤلفات «الجمعية المصرية لعلم الاجتماع » سنتى ١٩٥١ ، ١٩٥٢) .

١٣ — حقوق كل من الزوجين وواجباته فى الأسرة المصرية (ألقى فى مؤتمر لرابطة الإصلاح الاجتماعى ونشرته لجنة المؤتمرات والندوات بالرابطة فى يناير سنة ١٩٥٦) .

١٤ – الاختلاط بين الجنسين (ألقى فى مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعى ونشرته لجنة الندوات بالرابطة فى مارس سنة ١٩٥٦) .

١٥ – تطور البيت العربى وأثر المدينة الحديثة فيه (من مطبوعات إدارة الشئون الاجتماعية بجامعة الدول العربية) .

١٦ – نظام الأسرة فى الإسلام (فصل من كتاب «الإسلام اليوم وغداً» نشرته مكتبة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٧) .

١٧ – مشكلة مصر هى قلة النسل لاكثرته (من مطبوعات إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف سنة ١٩٥٨) .

١٨ – كيف يتكلم الطفل (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد أكتوبر سنة ١٩٥٨) .

١٩ – المدرسة المصرية (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد ديسمبر سنة ١٩٥٨) .

٢٠ – ألعاب الطفل (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد فبراير سنة ١٩٥٩) .

٢١ – الوراثة والبيئة (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد أبريل سنة ١٩٥٩) .

٢٢ – وظائف الأسرة (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد سبتمبر سنة ١٩٥٩) .

٢٣ – الإسلام فى المجتمع العربى (محاضرة عامة ألقيت فى قاعة محمد عبده فى مايو ١٩٥٦ وقامت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر بطبعها على حدة سنة ١٩٥٦) .

٢٤ – الرد على الشيوعيين العراقيين فى افترائهم على الإسلام فى كراستهم الرمادية «الكتاب رقم ٣٢ من كتب قومية صدر فى نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

٢٥ – علم اللغة (فصل من «السجل الثقافى» لسنة ١٩٦٠ ، تصدره وزارة الثقافة والإرشاد) .

٢٦ – علم الاجتماع (فصل من «السجل الثقافى» لسنة ١٩٦١ ، تصدره وزارة الثقافة والإرشاد) .

٢٧ – علم الاجتماع (فصل من «السجل الثقافى» لسنة ١٩٦٢ تصدره وزارة الثقافة والإرشاد) .

٢٨ – ابن خلدون أول مؤسس لعلم الاجتماع (ألقى فى مهرجان ابن خلدون المنعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٢ . ونشره مع بقية بحوث المهرجان فى كتاب خاص «المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية» بعنوان «أعمال مهرجان ابن خلدون») .

٢٩ – مقدمة ابن خلدون (فصل من العدد الرابع من المجلد الأول من السلسلة التى تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان «تراث الإنسانية» أبريل سنة ١٩٦٣) .

٣٠ – آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى (فصل من العدد السابع من المجلد الثانى من السلسلة التى تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان «التراث الإنسانية» يولية ١٩٦٤) .

٣١ – الحرية المدنية فى الإسلام (ألقى فى الموسم الثقافى لجامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٦٧ وطبعته الجامعة فى فصلة على حدة) .

٣٢ – القرآن وحرية الفكر (ألقى فى مؤتمر أسبوع القرآن الذى عقدته جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٣٨٧ ﻫ ١٩٦٨ م ، وقامت الجامعة بطبعه مع بقية بحوث المؤتمر ، وعمل فصلة منه على حدة) .

٣٣ – التراث العربى وأثره فى علم الاجتماع (ألقى فى الحلقة التى عقدتها جمعية الأدباء بالقاهرة سنة ١٩٦٨ . وقامت الجمعية بطبعه مع بقية بحوث المؤتمر فى كتاب بعنوان «التراث العربى ، دراسات»

٣٤ – التلازم بين إنتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية . بحث أرسل فى أواخر سنة ١٩٦٨ إلى «المكتب الدائم لتنسيق التعريب» الملحق بجامعة الدول العربية ، ينطوى على إجابات على أسئلة وجهها المكتب إلى صاحب البحث .

٣٥ – الوراثة وقوانينها وآثارها فى الفرد والأسرة والمجتمع (فصلة من العدد الثانى من مجلة جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٣٨٩ ﻫ ١٩٦٩ م) .

٣٦ ، ٣٧ ــ التعليم الإقليمي وأثره فى علاج البطالة ؛ البطالة بين طبقة المشتغلين بالزراعة : أسبابها ووسائل علاجها (بحثان ألقيا فى المؤتمر الذى عقدته جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٦٩ لدراسة مشكلة البطالة فى السودان ، وطبعا مع بقية أعمال المؤتمر) .

٣٨ ــ الملكية الخاصة فى الإسلام (ألقى فى الموسم الثقافى سنة ١٩٦٩ لجامعة أم درمان الإسلامية وقامت الجامعة بطبعه مع بقية بحوث الموسم وعمل فصلة منه على حدة) .

٣٩ ــ التكامل الاقتصادى فى الإسلام (بحث قدم إلى مجمع البحوث الإسلامية ، بدعوة خاصة من المجمع ، وألقى فى مؤتمره السادس فى مارس ١٩٧١ . وقام المجمع بطبعه فى كتاب على حدة) .

٤٠ ، ٤١ ــ المرأة والأسرة فى الإسلام ، الحرية المدنية فى الإسلام . بحثان ألقيا فى «الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامى» المنعقد فى مدينة قسطنطينة بجمهورية الجزائر فى شهر أغسطس سنة ١٩٧٠ ، وطبعا مع بقية بحوث الملتقى فى كتاب بعنوان «محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامى» .

٤٢ ــ ٤٤ ــ اللغة العربية فى الوطن العربى : أهميتها وتاريخها ؛ نظام الطلاق فى الإسلام ؛ نظام الاقتصاد فى الإسلام (ثلاثة بحوث أرسلت إلى «الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامى» المنعقد فى مدينة وهران بجمهورية الجزائر من ٢٥ ــ ٧ ــ ١٩٧١ إلى

أول أغسطس ١٩٧١ ، وطبعت مع بقية بحوث الملتقى فى كتاب بعنوان «محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامى») .

٤٥ — موقف الإسلام من الأديان الأخرى والرد على ما يفتريه بعض مؤرخى الفرنجة وبعض المستشرقين على الإسلام فى هذا الصدد (بحث ألقى فى «الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامى» المنعقد فى مدينة الجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية من ٢٠ — ٧ — ٧٢ إلى ١١ — ٨ — ٧٢ ، وطبع فى الجزء الثانى . صفحات ٣٩٣ — ٤٢٨ مع بقية بحوث المؤتمر فى كتاب من خمسة أجزاء) .

٤٦ — واقع التشريع اليوم فى العالم العربى ومدى انحرافه عن روح الشريعة الإسلامية ونصوصها وعن تقاليدنا وعرفنا الخلقى . بحث أرسل إلى «الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى» المنعقد فى مدينة «تيزى أوزو» بالجمهورية الجزائرية من ١٠ إلى ٧٣/٧/٢٠.

٤٧ — أثر تطبيق النظام الاقتصادى الإسلامى فى المجتمع . من بحوث «مؤتمر الفقه الإسلامى» المنعقد فى الرياض سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) وطبع مع بقية بحوث المؤتمر .

٤٨ — معجم العلوم الاجتماعية : أصدرته «الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) » . وقد حرر الدكتور على عبد الواحد وافى ٣٤ أربعة وثلاثين مصطلحاً من مصطلحات علم الاجتماع فى هذا المعجم . وراجع جميع مصطلحات علم الاجتماع

التى حررها غيره وتبلغ حوالى ٣٧٠ ثلثمائة وسبعين مصطلحاً ، وأحال المحررون على مؤلفاته فى نحو ١٤٥ مائة وخمسة وأربعين مصطلحاً .

٤٩ ــ الصيام فى الإسلام والشرائع السابقة (محاضرة من محاضرات «الدروس الحسنية الرمضانية» لسنة ١٣٩٤ هـ . وهى المحاضرات التى جرت عادة جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب أن يدعو لإلقائها فى شهر رمضان عدداً من العلماء من المغرب ومن البلاد العربية والإسلامية . وتلقى هذه المحاضرات فى القصر الملكى أمام جلالة الملك نفسه ، ويدعى لسماعها كبار رجال الدولة والجيش والقضاء وأعضاء البعثات الدبلوماسية فى المغرب وعدد كبير من الفقهاء والعلماء وسراة القوم من المغاربة وغيرهم . وقد قامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية فى المغرب بطبع محاضرات هذا الموسم فى مجلد واحد ، وتشغل هذه المحاضرة صفحات ٢٦٧ ــ ٢٨١ من هذا المجلد).

٥٠ ــ سماحة الإسلام فى مناهج الدعوة إلى الله . بحث نشر فى مجلة «المعهد العالى للدعوة الإسلامية» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٦٨ م ، وقام المعهد بعمل فضلة منه على حدة .

٥١ – نداء المخاطبين فى القرآن ، أسراره وبلاغته . بحث نشر فى مجلة «كلية اللغة العربية» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد ١٣٩٨ هـ ، وقامت الكلية بعمل فصلة منه على حدة .

٥٢ – لايطل دم فى الإسلام . بحث نشر فى مجلة «كلية الشريعة» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد ١٣٩٨ هـ ، وقامت الكلية بعمل فصلة منه على حدة .

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٩٩
مطبعة نهضة مصر

(إصلاح أخطاء مطبعية)

(الصفحة)	(اقرأ)
٥٠ تعليق ٢٩	آيتى ١١١ ، ١١٢ من سورة البقرة
٥٨ سطر ٨	« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا »
٦٨ تعليق ١٩ سطر ٢	« ... أصحاب القرية إذ جاءها ... »
٦٨ تعليق ١٩ سطر ٥	« ... أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين »
٦٨ تعليق ١٩ سطر ٦	« أو كالذى مر على قرية وهى خاوية ... »
٧٨ سطر ١١	« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ... »

